19me, année No 928

Le Caire 16 — 4 — 1951

بدل الاشتراك عن سنة
ـــصـــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٢٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ رجب سنة ١٣٧٠ — ١٦ إبريل سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

١٠- الدين والسلوك الانسانى

للاستاذ عمر حليق

التعاليم الدينية والقانون :

القوانين الخلقية للجماعة تؤلف جزءاً أصيلا جوهريا للنظام الاجتماعى الذى تعيش عليه والذى يستوحى الفرد منه سلوكه ويعتمد عليه فى صلاته مع الناس . فالقوانين الخلقية هى أسبق من العادات والتقاليد والنظم والشرائع القانونية (المدنية) فى توجيه السلوك الإنسانى . وقد يأتى حين من الدهر تمتزج فيه هذه العناصر جميعها لتؤلف الأسس الجوهرية للنظام الاجتماعى ، ولكن القوانين الأخلاقية تظل محتفظة بمكانتها الرئيسية ، مهيمنة على بقية العناصر التى يتألف منها النظام الاجتماعى (١)

والدارس للمجتمعات البدائية يدرك كيف أن القوانين الأخلاقية (الدينية) تجد من يعبر عنها فى الحكم والأمثال التى تلعب دوراً كبيراً فى تلوين السلوك الإنسانى بطابع الرشاد والطهارة والعمل الصالح

فالحكم والأمثال والأقوال السائرة نوع من التفلسف يستمد أصوله من القوانين الدينية؛ وهذه كما رأينا فى مقال سابق من هذا البحث تستند إلى الغريزة الروحانية التى تعيش فى كيان الإنسان

فالحكم فى القرآن والحديث مثلا على نوعين : —

(١) نوع يعالج الأخلاق والفلسفة العملية فى السلوك الإنسانى

(٢) نوع يتوسع فى الوعظ والإرشاد ويلجأ إلى الأمثال الشعبية المستمدة من صميم الحياة اليومية وعبر الأيام والحوادث قديمها ومعاصرها ليرمز الحكمة الخلقية والفلسفية القرآنية العملية بشروح ميسرة مبسطة تجد سبيلها إلى قلوب الخاصة وعقول العامة من الناس فى لغة مستمدة من شتى أوجه النشاط الإنسانى الدنيوى

فالنوع الأول إذن يعالج المشاكل الخلقية الروحية على أسس منطقية، العقل والروح من أسلحتها . والنوع الآخر يتم الاجتهاد فيضرب الأمثال بالحياة العملية وعبر التاريخ ، ويجمعها فى أسلوب محسوس ملموس ، الإقناع فيه يستند إلى اختبار الناس وما يتواردونه من أنباء وحوادث، وما يلاحظونه من خير أو شر فى نشاطهم الدنيوى

وكلا النوعين فى الإسلام متمم للآخر، وكلاهما قوام على نشر رسالة الدين على أوسع ما يكون الانتشار ، وحافظ للأسس الجوهرية والتفصيلية للوظيفة الدينية التى جاء بها القرآن وشرحها

(١) Williams Religion and Social_Organization

الحديث وتراث السلف الصالح

ومن هذا المزاج استمد أهل الاجتهاد العون على استنباط التشريع الذى صاحب نمو الجماعة الدينية واتساع حاجاتها الدنيوية، وتطور أوضاعها الاقتصادية والسياسية، وازدياد حياتها الاجتماعية تعقداً وتشويشاً . وهذا التطور الطبيعى الذى لا مفر منه هو الذى استدعى أكثر فأكثر تحديد العقيدة الدينية ، والسعى لإحاطتها بسياج من الوقاية تحول دون التحريف والتأويل ، وتستهدف صيانتها من سوء الاجتهاد الذى كثيراً ما يلتبس عليه تحديد جوهر العقيدة فى خضم هذه الذخيرة الطائلة من الحكم والأمثال والعبر الذى استشهد بها القرآن والدين والسلف الصالح فى معرض شرحهم لذلك الجوهر

ولعل هذا الالتباس هو السبب فى ضلال بعض الكتاب المعاصرين الذين يحاولون تطبيق النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية المعاصرة على تعاليم الإسلام ، أو تبرير هذه النظم على ضوء الحكمة والفلسفة الإسلامية

فهذا النوع من الاجتهاد يتطلب تحفظاً بالغاً فى البحث والاستقراء . والمنهج العلمى الصادق لا يقتبس الفقرة من سجل مجردة عن المعنى الشامل الذى استعملت فيه تلك الفقرة ،والأمانة فى الاقتباس والاستشهاد تستوجب استعراض المجال الواسع الشامل الذى جاءت منه تلك الآراء أو المعانى أو الحكم التى اقتبست واستشهد بها . فبعض كبار الأئمة مثلا يراعى شرح أسباب نزول الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قبل أن يجيزوا بفتوى أو يدلوا برأى له بالعقيدة الدينية مساس مباشر

ولقد رأينا أن الاجتهاد والتشريع يصاحبان نمو الجماعة وتطورها التاريخى ، فينشأ إلى جانب الفلسفة الدينية بمعناها الشامل فلسفة اجتماعية تستمد عناصرها من التطور الجديد وما يخلقه من محاسن أو مساوئ . وقد تكون التعاليم السماوية قد حددت وظيفة الدين إزاء هذه العناصر المستجدة تحديداً بيناً واضحاً، وفى مثل هذه الحالة لا يمكن للتعاليم السماوية أن تتحمل سوء الاجتهاد . وقد يحدث أن تكون إشارة التعاليم السماوية إلى العناصر المستجدة فى التطور الاجتماعى إشارة مستترة ؛ التعرف عليها يتطلب مزيداً من الاجتهاد والبحث والاستقراء . ومثل هذا الوضع باق على أمانة المجتهد والباحث عبئاً جليلا لا يكفى للقيام به مجرد الاقتباس والاستشهاد المجرد من المعنى الشامل للنص الأصيل كما يبدو مع الأسف عند كثير من الذين حاولوا معالجة التطور الاجتماعى على ضوء التعاليم السماوية . ودراسة النصوص الدينية فى ناحيتها الاجتماعية عمل خطير ، والاستعداد للقيام به يتطلب — بالإضافة إلى إخلاص النية والنزاهة العلمية وصواب منهج البحث — تعرفاً على طبيعة المجتمعات التقليدية التى نزلت عليها تلك التعاليم . ولقد وفر علم الأنثروبولوجيا لنا فى هذا العصر أسلحة نستطيع به أن ندرس — على قدر الإمكان — عقلية تلك المجتمعات ونظمها وأساليب تفكيرها ومعيشتها وألف نوع ونوع من هذه المميزات التى تتباين بها المجتمعات الحديثة عن المجتمعات القديمة

والسلوك الإنسانى فى جوهره متماثل فى الجماعات البدائية والجماعات المتقدمة وإن اختلفت أساليب ذلك السلوك بفضل التطور الحضرى . ووظيفة الدين الاجتماعية فى جوهرها لم تتأثر بالتطور الحضرى، إذ أن الدين — كما رأينا فى مقال مضى من هذا البحث — من الخصائص الغريزية التى ولدت فى النفس البشرية كالأكل والشرب والتزاوج . وقد ارتقت أساليب الناس فى إشباع هذه الغرائز الجسمانية بارتقاء الحضارة ، إلا أن جوهر تلك الغرائز لا يزال كما كان عليه منذ طرد آدم وحواء من الجنة . ومثل هذه الحقيقة تنطبق بشكل أدق وأصدق على الحياة الدينية الروحانية والحياة الدينية فى جميع مراحل التاريخ الدينى، مستندة إلى اتجاهين كلاهما يمزز الآخر

أولهما : — التطلع إلى الخالق الأعظم الذى بيده الحياة والموت وهو على كل شئ قدير

وثانيهما : — الامتثال إلى تعاليم ومثل وقيم أخلاقية توجه السلوك الإنسانى وتمده للحياة الصالحة السعيدة فى الدنيا والآخرة . ومن الصعب جدا كما قال الأستاذ (برات) أن نفرق بين هذين الاتجاهين (١)

فإذا سمحنا لأنفسنا بأن نصف الاتجاه الأول بأنه العقيدة

(١) Pratt Religious Consiousness

الدينية ، والثانى بأنه الوظيفة الاجتماعية للدين، فإن على الباحث فى وظيفة الدين الاجتماعية أن يراعى أشد المراعاة تمازج ذينك الاتجاهين ، وإلا فإن أسلوبه فى البحث لا يحقق النفع ولا يتمشى مع حقائق الوضع الاجتماعى ، ولا يأخذ بعين الاعتبار جوهر السلوك الإنسانى بمعناه الشامل وهو أصدق المعانى وأقربها إلى الحقائق الاجتماعية التى شرحها لنا (دير كهايم)

إذن فاستنباط التشريع الجديد من التعاليم السماوية واجتهاد الباحثين فى علاقة تلك التعاليم بالحقائق الاجتماعية يجب أن يتقيد بهذا التمازج الطبيعى الذى لا مفر منه بين العقيدة الدينية والحقيقة الاجتماعية

وبمثل هذا المنطق يمكننا أن نعالج موقف الجمود الذى يقفه بعض حفظة الدين فى العصر الحاضر إزاء التطور الاجتماعى الذى صاحب نمو الجماعة الدينية . فدراسة الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المعاصرة محاسنها ومساوئها يستوجب على حفظة الدين أمرين : —

أحدهما التسلح بعلوم مستجدة كعلم الأنتروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعى وعلم التاريخ الثقافى وغيرها من ألوان المعرفة الحديثة المتشعبة لزيادة تبحرهم فى العلوم الدينيه وتسلحهم بألسنة العلم الحديث لنشرها بين الناس والدفاع عنها إزاء العبث وسوء الاجتهاد . والآخر يستوجب تفهماً صادقاً للمشاكل الجوهرية فى التطور الذى ألم بحياة الجماعة فى شتى أوجه النشاط الإنسانى . فتحت لواء هذا التطور تنطوى أصناف مع المحاسن والمساوئ خلقتها الفلسفة والثورات الصناعية وتطور الأوضاع السياسية والاقتصادية وماخلفته عن عقد ومشاكل ، وما وفرته من أسباب التمة والإغراء ومن أسباب التفكير الحديث ، وكل ذلك خصائص لم تختبرها المجتمعات القديمة التى نزلت عليها التعاليم السماوية فى العصور الغابرة . ولما كان الإسلام يصلح لكل زمان فإن وزر القصور فى إعادة فتح باب الاجتهاد بأسلحة العلم الحديث وزر خطير ، والقصور عن القيام به مع القدرة عليه إثم عظيم

وخلاصة القول بصدد هذه النقطة من البحث أن فى علوم العصر معاول جديدة لتفهم الحقيقة الدينية ووظيفتها الاجتماعية فى عالم مضطرب ، ومن العبث الذى لا طائل منه أن ينساق المصلحون والمشرعون الاجتماعيون للنيل من العقيدة الدينية والتصدى لحقائقها . فهذه الحقائق تستمد وجودها من الغريزة الدينية ، والغريزة الدينية تلعب دوراً رئيسياً فى أى لون من ألوان الإصلاح الاجتماعى بمعناه الشامل

ومن العبث أن نحارب الحياة الدينية لأن بعض مظاهرها قد تحمل ألواناً من الشذوذ لا يستسيغه السلوك الإنسانى فى عصر الرادار والطاقة الذرية . فالحقائق الاجتماعية التى تركن وراء تلك المظاهر لم تندثر ولن تندثر لأنها سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنته تبديلا . والإصلاح الصادق النافع لا يستهدف معالجة الظواهر وإنما يدلف إلى الجوهر ؛ عندئذ يسهل التوجيه وتزداد الرغبة فى الإصلاح بين المصلح والذى يرغب فى إصلاحهم

وهذا العبث يصح إطلاقه كذلك على جمود بعض حفظة الدين فى التهيب من الفصل بين سلامة العقيدة الدينية وبين الاجتهاد فى إعادة الدرس فى وظيفة الدين الاجتماعية على ضوء التطور الذى استجد فى حياة الجماعة الدينية المعاصرة . فجوهر العقيدة الدينية لا خوف عليه لأنه من الغرائز التى لا تندثر ، إنما الخوف أن يزداد نفور الناس من الامتثال إلى التعاليم الاجتماعية لتلك العقيدة فيفقد الدين إحدى دعائمه القوية وهى الوظيفة الاجتماعية التى هى جزء من ذلك الاتجاه المزدوج فى الحياة الدينية ؛ ألا وهو التطلع إلى الخالق عز وجل كمصدر للحياة الروحانية ، والسير على الأرض بنور تعاليمه السماوية

نيويورك « البحث صلة » عمر حليق

إيـــــران

للاستاذ أبو الفتوح عطيفة

منطقة من مناطق البارود فى العالم ، وميدان من ميادين التنافس الدولى ، وأمة قامت تحاول أن ترد إلى نفسها ما أغدقته عليها الطبيعة من موارد قيمة

نعم ! هنا فى إيران منطقة من مناطق البارود وميدان من ميادين التنافس الدولى ، ذلك أن روسيا وإنجلترا تقفان لبعضهما بالمرصاد فى هذه المنطقة وتحاول كل منهما أن تفوز بالغنيمة . وأى احتكاك بين الدولتين قد يؤدى إلى الحرب العالمية الثالثة التى بات الناس يتوقعون نشوبها بين لحظة وأخرى

وقد روع الناس منذ أيام بنبأ اغتيال رئيس وزراء إيران على يد أحد الإيرانيين من أعضاء جمعية فدائيان إسلام ، وقد كانت التهمة التى وجهت إلى رئيس الوزراء هى تعاونه مع الأجانب وتفريطه فى حقوق الوطن ؛ وقد تتابعت الاغتيالات حتى توقع الناس أن يسمعوا كل يوم نبأ اغتيالات جديدة؛ الأمر الذى يؤسف له أشد الأسف ، فإن الاغتيالات لا يمكن أن تنصر قضية شعب مظلوم أو ترد إلى وطن ضائع حقوقه ، وإنما الطريق إلى تحقيق مطالب الوطن يكون بفهم الشعب كله لقضيته وإيمانه بها وعمل جميع أفراده على تحقيقها واتحاد كلمتهم

وكذلك استرعى انتباه الناس أمر لا يقل خطورة عن الأمر الأول ، وهو أن البرلمان الإيرانى قرر تأميم البترول الإيرانى . وقد ثارت إنجلترا لهذين الأمرين ؛ ولعل الأمر الثانى كان السبب لثورتها واهتمامها . وقد أمرت ثلاث قطع من بوارجهـا بدخول الخليج الفارسى للمحافظة على أرواح رعاياها وأموالهم ، وأنذرت حكومة إيران بالويل والثبور وعظائم الأمور إن هى سارعت إلى مشروع التأميم

وطلعت على الناس جريدة الإيكونومست تقول: «على إنجلترا أن تأمر بوارجها بدخول الخليج الفارسى لأن الشعوب الإسلامية لا تخاف إلا بالقوة» كأن المسلمين قوم قد فرض عليهم الذل وفرضت عليهم العبودية، وكأن إنجلترا قد فرضت نفسها سيدة لهم بل وللناس جميعاً ، أو كأن البرلمان الإيرانى قد قرر تأميم البترول فى بريطانيا ذاتها !

هذا من ناحية إنجلترا ؛ أما روسيا فقد حشدت قواتها على الحدود الإيرانية وبذلك أصبح الموقف حرجاً للغاية . فالإمبراطور حائر لا يدرى ماذا يفعل ؟ ولو تقدمت إنجلترا داخل إيران أو أراضيها لتقدمت روسيا بدورها مما قد يؤدى إلى حرب عالمية

ولعلك أيها القارئ تريد أن تسألنى عن أهمية موقع إيران وكيف صارت وطنا إسلاميا ، وعن مقدار ما تنتجه من البترول وغيره . وأنا بدورى أجيبك لأننا قد اتفقنا منذ حين على أنه خير للشرقيين أن يعرفوا أوطانهم وأن يعملوا على توحيد صفوفهم وجمع كلمتهم للوقوف فى وجه الاستعمار

تقع إيران فى منطقة اصطلح الناس على تسميتهـا بالشرق الأوسط، ويحدها من الشرق باكستان وبلوخستان، ومن الغرب العراق، ومن الشمال الاتحاد السوفيتى، ومن الجنوب البحر العربى والمحيط الهندى . ولعلك تسألنى ما أهمية هـذا الموقع ؟ إن موقع إيران مهم من عدة نواح : أولا : إن روسيا تسعى دائما للوصول إلى البحار الدافئة ولن يتحقق لهـا ذلك إلا إذا استولت على إيران . . وثانيـاً أن إنجلترا شديدة الحرص على إبقاء روسيـا حبيسـة فى داخل القارتين أوربا وآسيا. وثالثاً لأن روسيا إذا استولت على إيران تصبح خطراً محققا على الهند ، وإنجلترا كانت ومازالت حريصة على الهند وسلامتها ومنع وقوعها فى يد دولة معادية لأن الهند سوق هامة للمصنوعات البريطانية، وهى كذلك مورد هام من موارد الخام اللازمة للصناعات البريطانية. من هنا نشأ حرص بريطانيـا على سلامة الهنـد فعملت على التدخل فى شؤون مصر واحتلتها عام ١٨٨٢ وما تزال إلى اليوم تماطل فى الجلاء عنها حتى أصبح يخيل للناس أن يوم الجلاء يوم الحشر ، يجتمعان متلازمان، وحتى ضاقت بنفوس المصريين الصـدور ! ولسلامة الهنـد نرى إنجلترا كذلك تمنع روسيا من احتلال إيران وأفغانستان

ودولة إيران تشمل الجانب الأكبر من الهضبة المعروفة بهضبة إيران وتعرف حافتها الشمالية بجبال البرز، وتمتد شرقا إلى جبـال

هندكوش ، أما الحافة الجنوبية فسلاسل جبلية متوازية تحف بسهول العراق وتقترب من سواحل الخليج الفارسي

والسهول الساحلية ضيقة وأكثرها خصوبة السهول المجاورة لبحر الخزر. وتجرى في إيران عدة أنهار قصيرة تنتهي إلى بحيرات داخلية ما عدا نهر قارون الذي يجرى غربا حتى يصب في نهر شط العرب . وتستمد المجارى المائية مياهها من الجليد المتراكم فوق الجبال

ومناخ إيران قارس البرد شتاء، وتسقط بعض الأمطار شتاء بتأثير أعاصير الرياح العكسية وتشتد الحرارة صيفا وبخاصة في السهول

ويبلغ عدد سكان إيران ١٥٫٥ مليونا وهم مسلمون . وقد دخل الفرس في الإسلام عقب الفتح العربي عام ٦٤٢م ثم اعتنقوا المذهب الشيعي وكان لهم أثر كبير في تاريخ الإسلام فبتأثيرهم سقطت الدولة الأموية وعلى أكتافهم قامت الدولة العباسية

ويشتغل الإيرانيون بالرعي والزراعة فيربون الأغنام والماعز . ومقادير الصوف الناتجة عظيمة ؛ وتصنع منه السجاجيد الفاخرة والبسط والشيلان. ولسجاد إيران (العجمي) شهرة عالية وتصدر منه ما قيمته مليونا جنيه ونصف . ويزرع الإيرانيون كميات وفيرة من القمح والشعير والأرز والخشخاش والقطن وقصب السكر ، ومن الفواكه العنب والبلح ، ويزرع أشجار التوت وتربى دودة القز

البترول : وثروة إيران المعدنية عظيمة ففيها الفحم والحديد : على أن أكثر المعادن أهمية هو البترول وتمتد مواطنه على حدود إيران الغربية وفي منطقة بحر الخزر وتستغل الآن المناطق القريبة من الخليج الفارسي . وتمتد أنابيب البترول مسافة ٢٣٠ ك م إلى معامل تكريره في عبدان عند مصب شط العرب وفيها منشآت شركة الزيت الإنجليزية الإيرانية

ايران مشكلة دولية

أخذت روسيا منذ عهد بطرس الأكبر تعمل على توسيع رقعتها والوصول إلى البحرين : البحر الأسود وبحر البلطيق ، والاستيلاء على القسطنطينية. وقد نجحت روسيا في تحقيق بعض مطامعها فاستولت على شواطئ بحر البلطيق الشرقية وشواطئ البحر الأسود الشمالية ولكن أطماعها في تركيا وفي الاستيلاء على القسطنطينية أثارت عليها الدول وخاصة إنجلترا وفرنسا مما أدى إلى قيام الحرب المعروفة بحرب القرم ١٨٥٣ — ١٨٥٦ وكان السبب الرئيسي في نشوبها سعي القيصر في تقسيم تركة «الرجل المحتضر» (تركيا) وقد هزمت روسيا في هذه الحرب فولت وجهها شطر آسيا ومدت نفوذها حتى وصلت إلى ميناء فلاديفوستك ١٨٥٨

ثم تطلعت إلى إيران؛ وهنا قام نزاع خطير بينها وبين إنجلترا، ولكن الدولتين اتفقتا أخيرا على أن تعملا على فض المشاكل الآسيوية بطريق المفاوضة الودية . وقد كان قيام ألمانيا الحديثة ١٨٧٠ وظهور نواياها الاستعمارية الدافع الأكبر على فض النزاع القائم بين الدولتين

وطبقا للاتفاق سالف الذكر قسمت إيران إلى ثلاث مناطق نفوذ، فأطلقت يد روسيا في الشمال، وأطلقت يد إنجلترا في الجنوب، وبقي القسم الأوسط على الحياد بحكم الإمبراطور. وخول لأصحاب رؤوس الأموال من الروس والإنجليز حق استغلال أموالهم كما يشاءون

وقد حاولت روسيا بعد أن عقدت الاتفاق الودي مع فرنسا ١٨٩٣ أن تستولي على طهران، ولكن إنجلترا عارضت ونصحت فرنسا حليفتها روسيا بالعدول عن رغبتها فعدلت

وفي أوائل القرن العشرين تألفت شركة البترول الإيرانية الإنجليزية لاستخراج البترول وقد أصبحت هذه الشركة أعظم شركات البترول المالية وأغناها

وقد كان تغلغل النفوذ الإنجليزي والنفوذ الروسي في إيران سببا في ثورة الإيرانيين على ملكهم . وكان من أهم نتائج هذا الانقلاب تولى رضا بهلوى عرش إيران وهو والد الإمبراطور الحالي .

وقد هال الإمبراطور الجديد ما حصلت عليه الشركة من امتيازات، فقد كان للشركة حق استغلال آبار البترول في الجنوب. وتحصل الحكومة على ١٠ ٪ من الأرباح . ومن أجل هذا تقدم الإمبراطور يطلب تعديل الامتياز وفي ١٩٣٣ اتفق الطرفان

على أن تكون حصة إيران ١٤٪ من الأرباح ومد أجل الامتياز إلى ١٩٩١

إن كل قطرة من البترول تعادل قطرة من الدم، وإنجلترا من أجل هذا حريصة على أن تبقى آبار البترول في إيران تحت يدها ويضاف إلى هذا ما تربحه بريطانيا من أموال طائلة. والإيرانيون الآن يرون أن بلادهم تفيض ذهبا ولكن هذا الذهب لا يذهب إلى جيوبهم وإنما يذهب إلى جيوب غيرهم من الأجانب، ومن ثم قاموا يطالبون حكومتهم بتصحيح الأوضاع ورد بضاعتهم إليهم، ولن يكون ذلك إلا بإلغاء امتياز شركة البترول الإيرانية الإنجليزية التي زاد إنتاجها في العام الماضي عن ٢٠ مليون طن من البترول وتأميم البترول، أي أن تصبح آباره مرفقا عاما من مرافق الدولة الإيرانية وموردا من مواردها؟ ألست ترى معي أنهم على حق؟

وبدأت الحركة باغتيال رئيس الوزراء وقرر البرلمان الإيراني موافقته على مشروع التأميم وثارت انجلترا وأرسلت بوارجها إلى الخليج الفارسي وحشدت روسيا قواتها على حدود إيران وما يزال الموقف مضطربا للغاية. وما يعلم إلا ربي وربك كيف تكون النهاية

أبو الفتوح عطيفة
مدرس أول العلوم الاجتماعية
بسمنود الثانوية

١ ـ في الحديث المحمدي

للأستاذ محمود أبو رية

نستخير الله اليوم في أن نفي بما وعدنا به قراء الرسالة الغراء فننشر فصولا مختصرة من بحث مستفيض قصرناه على الكلام (في الحديث المحمدي) والله نسأل أن يعصمنا من الزلل ويلهمنا التوفيق في القول والعمل

محمود أبو رية

مما لا يكاد يختلف فيه اثنان، أو يحتاج في إثباته إلى برهان، أن للحديث المحمدي من جلال الشأن وعلو القدر، ما يدعو إلى العناية به، والبحث عنه، حتى يدرس ما فيه من دين وأدب، ويعلم ما يحمله من أخلاق وحكم

وعلى أنه بهذه المكانة الجليلة، والمنزلة الرفيعة، فإن العلماء والأدباء لم يولوه ما يستحق من العناية والدرس، وتركوا أمره لمن يسمون برجال الحديث يتداولونه بينهم ويدرسونه على طريقتهم. وطريقة هذه الفئة التي اتخذتها قامت على قواعد جامدة لا تتغير ولا تتبدل. فترى المتقدمين منهم وهم الذين وضعوا هذه القواعد قد حصروا عنايتهم في معرفة رواة الحديث والبحث — على قدر الوسع — في تاريخهم، ولا عليهم بعد ذلك إن كان ما يصدر عن هؤلاء الرواة صحيحا أو غير صحيح، معقولا أو غير معقول، أي أنهم وقفوا عند البحث فيما يتصل بالسند فقط، أما المتن فلا يعنيهم من أمره شيء

ثم جاء المتأخرون فقعدوا وراء الحدود التي أقامها من قبلهم، لا يتجاوزونها ولا يحيدون عنها، وبذلك جمد علم الرواية منذ القرون الأولى لا يتحرك ولا يتغير، ووقف هؤلاء وهؤلاء عند ظواهر الحديث كما أدت إليه الرواية مطمئنين إليها آخذين من غير بحث ولا تمحيص بها (١)

وعلى أنهم قد بذلوا أقصى جهدهم في دراسة علم الحديث من حيث روايته حتى قيل: (إن علم الحديث قد انطبخ حتى احترق) فإنهم قد أهملوا جميعا أمرا عظيما يجب أن يعرف قبل النظر في كتب هذا العلم ودرس ما فيها، وذلك هو البحث عن النص الصحيح لما تحدث به النبي (ص)، وهل كتبه عند إلقائه كما فعل بالقرآن؟ أو أهمله ونهى عن كتابته! وهل دونه الصحابة ومن بعدهم أو أمسكوا عن تدوينه؟ وماذا كان أمرهم في روايته؟ وهل ما روى منه قد جاء مطابقا لحقيقة ما نطق النبي به — لفظا ومعنى — أو كان مخالفا له؟ وما هي العوامل التي تدسست إليه من أعدائه، والمؤثرات التي أصابته من أهواء أوليائه، حتى رشيت بما ليس منه؛ وتسرب إليه ما هو غريب عنه! ثم في أي زمن ابتدأ تدوينه؟ وهل اتخذ ما دونوه — في أول الأمر — طورا واحدا لم يتغير على مر العصور، أو تقلب في أطوار متعددة! وفي

(١) قال أحد كبار العلماء في وصف علم الحديث: إنه علم اصطلاحي محض يوعى بكد الحافظة، ويستنبط بقوة الذاكرة، فلا يستلزم الفكر التولي على حقائق المعقولات، ولا الخيال الجوال في جواء الشعريات

أية صورة خرج أخيرا للناس فى كتبه المتمدة ، وماذا كان موقف علماء الأمة منه ، وما مبلغ ثقتهم به ، ومدى اختلافهم فيه ! بعد أن عراه ما عراه ، وتأثر بما تأثر به ؟ وما إلى ذلك من الأمور المهمة التى يجب أن يعرفها كل مسلم أو باحث قبل النظر فيه ، والأخذ بما تؤدى إليه ألفاظه ومعانيه

أما هـذا كله وغيره مما يتصل بحياة الحديث وتاريخه فقد انصرف عنه العلماء والباحثون ، وتركوه أخبارا فى بطون الكتب مبعثرة ، وأقوالا بين ضمائر الأسفار منتثرة ، لا يضم نشرها كتاب، ولا يعنى بتصنيفها باحث

نهى النبي عن كتابة حديثه وعمل الصحابة بذلك :

كان رسول الله صلوات الله عليه مبينا ومفسرا للقرآن بفعله وقوله، ولكن أقواله فى هـذا البيان أو فى غيره لم تحفظ بالتدوين كما حفظ القرآن . وقد تضافرت الأدلة النقلية الوثيقة ، وتواتر العمل الصحيح على أن أحاديث الرسول (ص) لم تكتب فى عهده كما كان يكتب القرآن ، ولا كان لها كتاب يقيدونها عند سماعها والتلفظ بها كما كان للقرآن كتاب معروفون يقيدون آياته عند نزولها ، بل جاءت أحاديث صحيحة وآثار ثابتة تنهى كلها عن كتابة أحاديثه صلوات الله عليه إذا أوردناها كلها طال بنا القول فلنجتزئ بذكر نزر قليل منها :

روى مسلم وأحمد وغيرهما عن أبى سعيد الخدرى قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تكتبوا عنى شيأ سوى القرآن فمن كتب عنى غير القرآن فليمحه »

وأخرج الدارمى عن أبى سعيد كذلك : أنهم استأذنوا النبى (ص) فى أن يكتبوا عنه فلم يأذن لهم

وروى الترمذى عن أبى سعيد قال : استأذنا النبى فى الكتابة فلم يأذن لنا

وعن أبى وهب قال : سمعت مالكا يحدث أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب الأحاديث أو كتبها ثم قال : « لا كتاب مع كتاب الله »

وروى حافظ المغرب ابن عبد البر والبيهقى فى المدخل عن عروة : أن عمر أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب رسول الله فى ذلك — ورواية البيهقى — فاستشار فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا ثم أصبح يوما وقد عزم الله له فقال : إنى كنت أريد أن أكتب السنن وإنى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله — (وإنى والله لا أشوب كتاب الله بشئ أبدا) ورواية البيهقى « لا ألبس كتاب الله بشئ أبدا »

وروى الحاكم عن عائشة قالت : جمع أبى الحديث عن رسول الله فكانت خمسمئة حديث فبات يتقلب — قالت فغمنى كثيرا فقلت لشكوى أو لشئ بلغه ! فلما أصبح قال : أى بنية ، هلمى الأحاديث التى عندك ، فجئته بها فأحرقها وقال : خشيت أن أموت وهى عندك فيكون فيها حديث عن رجل ائتمنته ووثقت به ، ولم يكن كما حدثنى فأكون قد تقلدت ذلك . زاد الأحوص بن الفضل بن غنان فى رواية : أو يكون قد بقى حديث لم أجده فيقال : لو كان قاله رسول الله

والأخبار فى ذلك كثيرة جدا لا نستزيد بإيرادها كلها رغبة الصحابة عن رواية الحديث وتهيهم عنها :

إذا كانت الآثار الصحيحة قد جاءت فى نهى النبى (ص) من كتابة حديثه ، والأخبار الوثيقة قد ترادفت بأن صحابته رضوان الله عليهم قد استمعوا إلى نهيه ، ولم يكتبوا حديثه بعد موته ، — كما علمت مما مر بك — فإنا نجد هؤلاء الصحابة كانوا يرغبون عن رواية الحديث بل كانوا ينهون عنها ! وأنهم كانوا يتشددون فى قبول الأخبار تشديدا قويا

روى الحافظ الذهبى فى تذكرة الحفاظ قال ومن مراسيل ابن أبى مليكة أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال : إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافا؛ فلا تحدثوا عن رسول الله شيأ فمن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه . وروى ابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف قال : والله ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق — عبد الله بن حذيفة وأبا الدرداء وأبا ذر وعقبة بن عامر — فقال : ما هذه الأحاديث التى أفشيتم عن رسول الله فى الآفاق ؟ قالوا : تنهانا ؟ قال . أقيموا عندى ، لا والله لا تفارقونى ما عشت فنحن

٣ – الفارابى

فى العالم الاسلامى وفى أوربا

بمناسبة مرور ألف عام على وفاته

للأستاذ ضياء الدخيلى

قال الغزالى (المتوفى سنة ٥٠٥ هـ الموافقة سنة ١١٠١ م) فى كتابه تهافت الفلاسفة: ثم المترجمون لكلام أرسطاطاليس لم ينفك كلامهم عن تحريف وتبديل محوج إلى تفسير حتى أثار ذلك أيضاً نزاعاً بينهم، وأقومهم بالنقل والتحقيق من المتفلسفة فى الإسلام الفارابى أبو نصر وابن سينا، فنقتصر على إبطال ما اختاروه ورأوه الصحيح من مذهب رؤسائهم فى الضلال فإن ما هجروه واستنكفوا من التابعة فيه لا يمارى فى اختلاله، ولا يفتقر إلى نظر طويل فى إبطاله (١)

وقال الغزالى فى (المنقذ من الضلال): رد أرسطاطاليس على أفلاطون وسقراط ومن كان قبله من الإلاهيين رداً لم يقصر فيه حتى تبرأ من جميعهم إلا أنه استبق أيضاً من رذائل كفرهم بقايا لم يوفق للنزوع عنها فوجب تكفيرهم وتكفير متبعيهم من المتفلسفة الإسلاميين كابن سينا والفارابى وأمثالهما ... على أنه لم يقم بنقل علم أرسطاطاليس أحد من المتفلسفة الإسلاميين كقيام هذين الرجلين وما نقله غيرهما لا يخلو من تخبط وتخليط يتشوش فيه قلب المطامع حتى لا يفهم وما لا يفهم كيف يرد أو يقبل؟ ومجموع ما صح عندنا من فلسفة أرسطاطاليس بحسب نقل هذين الرجلين ينحصر فى ثلاثة أقسام: قسم يجب التكفير به، وقسم يجب التبديع به، وقسم لا يجب إنكاره أصلا فلنفصله (٢)

فترى الغزالى فى التهافت قد أثنى على ما نقله الفارابى من فلسفة أرسطو ووسمه بالاستقامة، وفى المنقذ كفره مع إطرائه جهوده فى النقل

(١) تهافت الفلاسفة للغزالى ص ٩ من الطبعة الكاثوليكية

(٢) المنقذ من الضلال للغزالى ص ٨٥ – ٨٨ من طبعة دمشق الثانية

أعلم، نأخذ منكم ونرد عليكم، فما فارقوه حتى مات

وروى السائب بن يزيد قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبى هريرة «لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس أى (إلى بلاده) وقال لكعب الأحبار: لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القردة

ونهاهما كذلك عن الرواية عثمان بن عفان

وكان عمر يقول: أقلوا الرواية عن رسول الله إلا فيما يعمل به.

ولا غرابة فى أن يفعل عمر ذلك لأنه كان لا يعتمد إلا على القرآن والسنة العملية، فقد روى البخارى عن ابن عباس أنه لما حضر النبى (أى حضرته الوفاة) وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبى: «هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده» فقال عمر إن النبى غلبه الوجع وعندكم كتاب الله فحسبنا كتاب الله

وروى ابن سعد فى الطبقات عن السائب بن يزيد أنه صحب سعد بن أبى وقاص من المدينة إلى مكة قال: فما سمعته يحدثنا عن النبى حديثاً حتى رجع، وسئل عن شئ فاستعجم وقال: «إنى أخاف أن أحدثكم واحداً فتزيدوا عليه المئة. وسعد هذا من العشرة المبشرين بالجنة ومن كبار الصحابة

وعن عمرو بن ميمون قال: اختلفت إلى عبد الله بن مسعود سنة فما سمعته فيها يحدث عن رسول الله، ولا يقول قال رسول الله؛ إلا أنه حدث ذات يوم بحديث فجرى على لسانه، قال رسول الله! فعلاه الكرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبينه ثم قال: إن شاء الله إما فوق ذاك أو قريب من ذاك وإما دون ذاك»

وأخرج أحمد وأبو يعلى عن دجين قال: قدمت المدينة فلقيت أسلم مولى عمر بن الخطاب فقلت حدثنى عن عمر فقال: لا أستطيع، أخاف أن أزيد أو أنقص! كنا إذا قلنا لعمر، حدثنا عن رسول الله قال أخاف أن أزيد أو أنقص

وأخرج الدار قطنى عن عبد الله بن عامر، قال: سمعت معاوية يخطب على منبر دمشق قال:

«إياكم وأحاديث رسول الله إلا حديثا ذكر على عهد عمر. إن عمر كان يخيف الناس الله — ورواية الدارى — اتقوا الروايات عن رسول الله إلا ما كان يذكر منها فى زمن عمر، إن عمر كان يخوف الناس فى الله تعالى»

المنصورة (للكلام صلة) محمود أبو رية

ومن المنتظر أن لا يعف عن الطعن فى أبى نصر وفلسفته من اتبع خطوات الغزالى وسار فى ركابه كابن العماد الحنبلى الذى حمل عليه فى (شذرات الذهب) مقتطفا كلمات للغزالى دعم بها هجومه على هـذا الفيلسوف الجليل فقال عنه[٣] الفارابى ذو المصنفات المشهورة فى الحكمة والمنطق والموسيقى التى من ابتغى الهدى فيها أضله الله . وكان مفرط الذكاء ، وقال ابن الأهدل قيل هو أكبر فلاسفة المسلمين لم يكن فيهم من بلغ رتبته وبه أى بتآليفه تخرج ابن سينا . وكان يحقق كتاب أرسطاطاليس وكتب عنه فى شرحه سبعين سفراً ولم يكن فى وقته مثله ولم يكن فى هذا الفن أبصر من الفارابى. ويقال إن آلة القانون من وضعه . قال الفقيه حسين هؤلاء الثلاثة متهمون فى دينهم يعنى الفارابى والكندى وابن سينا فلا تغتر بالسكوت عنهم. انتهى ما أورده ابن الأهدل ملخصا. استمر الحنبلى فى حديثه قائلا: وبالجملة فأخباره وعلومه وتصانيفه كثيرة شهيرة؛ ولكن أكثر العلماء على كفره وزندقته حتى قال الإمام الغزالى فى كتابه (المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال) : لا نشك فى كفرهما أى الفارابى وابن سينا . وقال فيه أيضا وأما الإلاهيات ففيها أكثر أغاليطهم وما قدروا على الوفاء بالبرهان على ما شرطوا فى المنطق ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيه ولقد قرب مذهب أرسطاطاليس فيها من مذهب الإسلاميين الفارابى وابن سينا ولكن مجموع ما يخاطون فيه يرجع إلى عشرين أصلا يجب تكفيرهم فى ثلاثة منها وتبديعهم فى (١٧) ولإبطال مذهبهم فى هذه المسائل العشرين صنفنا كتاب التهافت . وقال الغزالى فى (المنقذ من الضلال) القسم الثالث الإلاهيون وهم المتأخرون مثل سقراط وهو أستاذ أفلاطون ، وأفلاطون أستاذ أرسطاطاليس وهو الذى رتب لهم المنطق وهذب العلوم وأوضح لهم ما كان امحى من علومهم. وهم بجملتهم ردوا على الصنفين الأولين من الدهرية والطبيعية وأوردوا فى الكشف عن فضائحهم ما أغنوا به غيرهم. ثم رد أرسطاطاليس على أفلاطون وسقراط ومن كان قبله من الإلاهيين رداً لا يقصر فيه حتى تبرأ من جميعهم إلا أنه استبقى من رذائل كفرهم وبدعتهم بقايا لم يوفق للنزوع عنها فوجب تكفيرهم وتكفير متبعيهم من الإسلاميين كابن سينا والفارابى وأمثالهما على أنه لم يقم بعلم أرسطاطاليس أحد من المتفلسفة الإسلاميين كقيام هذين الرجلين وما نقله غيرهم ليس يخلو من تخبيط وتخليط يتشوش فيه قلب المطالع حتى لا يفهم وما لا يفهم كيف يرد أو يقبل ... ؟ ومجموع ما صح عندنا من فلسفة أرسطاطاليس بحسب نقل هذين الرجلين ينحصر فى ثلاثة أقسام : قسم يجب التفكير به ، وقسم يجب التبديع به ، وقسم لا يجب إنكاره أصلا) وبعد ما أورد ابن العماد الحنبلى هذا فى كتابه (شذرات الذهب) أردفه بقوله انتهى ما قاله حجة الإسلام الغزالى فرحمه الله تعالى رحمة واسعة. فانظر ما يجر إليه علم المنطق وما يترتب عليه التوغل فيه ولهذا حرمه أعيان الأجلاء كابن الصلاح والنواوى والسيوطى وابن نجيم فى أشباهه وابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم وإن كان أكثر الحنابلة على كراهته . قال الشيخ فى غاية المنتهى مالم يخف فساد عقيدة أى فيحرم ...

وأقول إن ما أورده ابن العماد الحنبلى هذا لا يمثل وجهة نظر عامة المسلمين وإنما هو مما تحجرت عليه أدمغة الحنابلة والرجعيين والجامدين فلا يتخذن أعداء الإسلام من هـذا الهذيان منفذاً للطعن فيه بأنه دين يكره التفكير الحر والمنطق. ورحم الله الإمام الشيخ محمد عبده فقد كفانا فى جولاته وصولاته مع من حاول ذلك الطعن فى الإسلام من أمثال فرح أنطون صاحب كتاب (ابن رشد وفلسفته) الذى جمع فيه مقالاته التى طعن فيها الإسلام بضيق صدره بالفلسفة وقد نشرها فى صحيفة (الجامعة) ورد عليه الإمام المذكور فى كتابه (العلم والمدنية فى الإسلام والنصرانية) وحين ذكر الفارابى — ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ فى كتابه (البداية والنهاية) لم يقس أن يطعن فى عقيدته فقال: (١) الفارابى التركى الفيلسوف كان حاذقا فى الفلسفة

(٣) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ص ٣٥٠

(١) البداية والنهاية لابن كثير ص ٢٢٤ ج ١١ فيمن توفى سنة ٣٣٩ هـ من الأعيان

ومن كتبه تفقه ابن سينا. وكان يقول بالمعاد الروحاني لا الجثماني ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة، وله مذاهب في ذلك يخالف بها المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين فعليه إن كان مات على ذلك لعنة رب العالمين. مات بدمشق فيما قاله ابن الأثير في كامله ولم أر الحافظ ابن عساكر ذكره في تاريخه لنتنه وقباحته فالله أعلم ...) ويقصد بهذا الشتم القبيح من شاد صرح الفلسفة الإسلامية المعلم الثاني أبا نصر الفارابي فتأمل ...

والحق أن هذه الهجمات العنيفة من خصوم الفلسفة قد آذت الفارابي وشوهت سمعته في العالم الإسلامي فصارت أبحاثه رمزاً للانحراف عن الإسلام وزيغان العقيدة كما توضح لك ذلك القصة التالية: جاء (١) في كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي: أنه في سنة ٥٩٥ هـ عظمت الفتنة في عسكر غياث الدين محمد ملك الغورية وكانت بلاد الغور تقع بأفغانستان بين هراة وغزنة وكانت مملكة إسلامية مستقلة بشؤونها منذ أوائل القرن الخامس الهجري ثم فتحها محمود الغزنوي سنة ٤١١ هـ واستمرت تابعة للدولة الغزنوية وصاهر ملوكها سلاطينهم حتى سنة ٥٣٦ هـ حيث قضى التركمان على الدولتين الغزنوية والغورية معاً ثم جاء غياث الدين بن بسام فأسس ملكاً جديداً على أنقاض الدولتين سنة ٥٦٩ هـ ... وكان سبب هذه الفتنة أن الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي الفقيه الشافعي المشهور كان قد بالغ غياث الدين في إكرامه وبنى له مدرسة بقرب جامع هراة ومعظم أهلها كرامية، والكرامية إحدى الفرق الإسلامية. ويذكر المقريزي أنها أتباع محمد بن كرام (بتشديد الراء) السجستاني وكلهم مجسمة زعموا أن الله جسم وله نهاية من جهة الأسفل الخ) قال تقي الدين المقريزي وأن أهل هراة أجمعوا على مناظرة الرازي وتجمعوا عند غياث الدين محمد معه وكبيرهم القاضي مجد الدين عبد المجيد بن عمر بن القدوة فتكلم الإمام فخر الدين مع ابن القدوة واستطال عليه وبالغ في شتمه وهو لا يزيد على أن يقول (لا يفعل مولانا. لا آخذك الله؛ استغفر الله) فغضب الملك ضياء الدين له وهو ابن عم الملك غياث الدين وكان أشد الناس كراهة للفخر الرازي ونسب الإمام الرازي إلى الزندقة ومذهب الفلاسفة وقام من الغد الخطيب بالجامع وقال في خطبته (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين. أيها الناس إنا لا نقول إلا ما صح عندنا عن رسول الله، وأما علم أرسطو وكفريات ابن سينا وفلسفة الفارابي فلا نعلمها فلأي شيء يشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام يذب عن دين الله وسنة نبيه؟ وبكى وأبكى فثار الناس من كل جانب وامتلأت البلد فتنة فسكنهم السلطان غياث الدين وتقدم إلى الإمام فخر الدين بالعود إلى هراة فخرج إليها ثم فارق غياث الدين ملك الغورية مذهب الكرامية وتقلد الشافعي رحمه الله)

وهذه القصة توضح لنا كيف أن اسم فلسفة الفارابي كان مقروناً بالإلحاد والخروج على قواعد الإسلام في دنيا المسلمين وهذا من نتائج حملات الرجعيين الشنيعة على الفلسفة وأقطابها، فهذا طاش كبرى زاده المتوفى عام ٩٦٢ هـ (١٥٥٤) يقول في مفتاح السعادة ومصباح السيادة (كما نقل عنه صاحب كتاب قصة النزاع بين الدين والفلسفة): (١) وإياك أن تظن أن الحكمة المموهة التي اخترعها الفارابي وابن سينا ونقحها نصير الدين الطوسي — ممدوحة، هيهات هيهات، إن ما خالف الشرع فهو مذموم سيما طائفة سموا أنفسهم حكماء الإسلام عكفوا على دراسة ترهات أهل الضلال وسموها الحكمة وربما استهجنوا من عرى منها ... قيل فيهم

وما انتسبوا إلى الإسلام إلا ... لصون دمائهم من أن تسالا
فيأتون المناكر في نشاط ... ويأتون الصلاة وهم كسالى

للكلام صلة

ضياء الدخيلي

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ القسم الأول ص ١٤٤.

(١) قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص ١٢٢

زكرى الشاعر الفنان

الطبيعة فى شعر الرصافى

للأستاذ أنيس الحورانى

الطبيعة العراقية لوحة فنية رائعة، رسمتها ريشة مفن أصيل، صورتها فى أحسن تصوير، و كونتها فى أبدع تكوين: زاخرة فى مفاتنها ومباهجها؛ فى أنهارها الجارية وجداولها السارية، فى نخيلها السامق وحقولها الخضراء، فى مروجها الفيح وحدائقها الغناء، فى صحرائها المترامية وهضباتها الرابضة، فى رمالها الحمراء وحصاها المتماوج.. حيثما تولى وجهك ترى الجمال فيها هنا وهناك يتراءى لك فى ألوان شتى وأشكال مختلفة!

تحت هذه الظلال الوارفة، وعلى جنبات هذه الشواطئ المخضلة: ترعرع شاعرنا الرصافى وشب، فترعرع معه حبه للطبيعة وشب وإياه تمشقه لجمالها الساحر الفتان.. فراح يتملى من مفاتنها ويستلهم سرها الدفين، فيستجلى الصور الرائعة الفريدة، ويرسلها شعراً رقيقاً عذباً ينساب كالغدير الصافى فوق أفواف الزهر؛ ثم تراه يطفر هنا وهناك كالبلبل الغريد ينشد ويغرد بحرارة ونشاط!

فالرصافى إذن ابن الطبيعة البار، ابنها الوفى الأمين الذى اعتز بوعده لها، فخلدها فى أسمى المعانى وأرق البيان، وكثيرا ماتراه يفزع اليها بعد إخفاق الأمانى، ليسرى عن نفسه، وينفس عن كربه، فتسعفه بأروع ما عندها من ذخائر ونفائس.. فتراه عند ذاك كالرسام البارع الأصيل الذى يكتفى بألوان قليلة لرسم الصورة التى تمر أمامه، فيخرجها للناس بإطارها الوضاء، حيث يسكب فيها شعوره الفياض ممزوجا بمعانى النور والظلال والتجاوب النفسى فى تذوق الجمال الفنى الذى تأتلف فيه الطبيعة إئتلافاً دقيقاً..

هذه ناحية قيمة من شعر الرصافى تجاهلها النقاد فلم يعطوها حقها، وذلك لابتعادهم من الاندماج فى نفسية الشاعر وتذوق شعره؛ فهو قبل كل شئ معبر وجدانى، وشعره مرآة نفسه المتجاوبة مع عناصر الحياة وتكوينها، وأن أدبه أدب القوة والإبداع والخلود!.

وهذه الطبيعة الراقصة فى شعره، يمكننا أن نتلمسها فى قصائده الكثيرة منذ صباه حتى شيخوخته؛ فنجدها ذات روح وثابة قوية، وروائعها الفنية ناطقة فى غير بيان. والذى جعل شاعرنا يبدع فى ذلك هو غرامه الذى لا حد له فى المحسنات اللفظية والجمال البديعى، مما يجعلنا نقرأ قصيدته ونستعيدها مرة إثر مرة حتى نقف على أبعد مراميها فندرك سر بيانها؛ وإن شعره فى كثير من الأحيان يسيل رقة وعذوبة، ويتفجر عن ينابيع ثرة دافقة..

استمع إليه فى قصيدة «الغروب» يقول فيها:

نزلت تجر إلى الغيوب ذيولا ... صفراء تشبه عاشقاً متبولا
تهتز بين يد المغيب كأنها ... صب تململ فى الفراش عليلا
ضحكت مشارقها بوجهك بكرة ... وبكت مغاربها الدماء أصيلا

يصف الرصافى الشمس فى هذه القصيدة، وهى تجر مطارفها بخفر وحياء، وقد أضر بها السقم كالعاشق الوانى الذى سئم رقدة الفراش؛ فتراه هنا وقد اكتفى بخطوط قليلة وألوان زاهية لإبداع لوحته الفنية، ثم صورها عند الشروق ضاحكة باسمة، وعند الأصيل مولولة جازعة تتشح بردائها الأحمر القانى الذى خضبته الدماء

وفى قصيدته «وقفة فى الروض» يقول:

ناح الحمام وغرد الشحرور ... هذا به شجن وذا مسرور
فى روضة بشجى الشوق ترقرق ... للماء فى جنباتها وخرير
ماء قد انعكس الصفاء بوجهه ... وصفاء لاح كأنه بلور

ومنها:

وتسلسلت فى الروض منه جداول
بين الزهور كأنهن سطور
حيث الغصون مع النسيم موائل
فكأنهن معاطف وخصور

تأملوا بالله! فى خيال الشاعر العبقرى الرصافى تجدوه كن اطلع على أسرار الطبيعة وما تزخر به من حجب وتكهنات فراح يقتنص الشوارد بأدق المعانى وأرق الأحاسيس؛ فيشعر بعصاب الحمام وهو ينوح من شجين وعذاب، ويشارك الشحرور

فى تغريده لفرحته ومسرته ! ثم بانت هنا وهناك وكأنه يستشف غور الأعماق ، فيبقى سادراً فى صفحة الماء الجلواء، حتى يخيل إليه أنه يرى مدى بعدها اصفائها ، وكأنها استطابت مكوثه فى هذا الروض فرقت له واستسلمت إليه ، فكشفت له عن كنهها وخبايا صدرها من جمال وروعة !.

ومن هذا الوصف المفتن ما جاء فى قصيدة « ذكرى لبنان » إذ يقول فيها :

برزت تميس كخطرة النشوان ... هيفاء مخجلة غصون البان
ومشت فخفت بها الصبا فمايلت ... مرحاً فأجهد خصرها الردفان
جال الوشاح على معاطفها التى ... قمدت وقام بصدرها النهدان
تستعبد الحر الأبى بمقلة ... دب الفتور بجفنها الوسنان

ومنها :

لم أنس فى قلبى صمود غرامها ... إذ نحن نصعد فى ربى لبنان
حيث الرياض بهز عطف غصونها ... شدو الطيور بأطرب الألحان
لبنان تفعل بالحياة جنانه ... فعل الزلال بغلة الظمآن

تراه هنا يتمشى مع الطبيعة جنباً إلى جنب ، فيعطيها نصيبها الوافر من الإبداع والتشبيه ، مع خيال شعرى سليم ، وموسيقى شجية هامسة ، ليس فيها أى تكلف مصطنع ، بل جاءت فريدة من صميم نفسه الشاعرة الرهفة . .

وقوله لاستغلال مادة الطبيعة فى بساطة ساحرة :

البحر رهو والسما صافيه ... والفحمة فى الليل شبيه السديم
والبدر فى طلعته الزاهيه ... قد ضاحك البحر بثغر بسيم

* * *

والصمت فى الأنحاء قد خيما ... فالليل لم يسمع ولم ينطق
والبدر فى مفرق هام السما ... تحسبه التاج على المفرق
أغرق فى أنواره الأنجما ... وبعضها عام فلم يغرق
والبحر فى جبهته الصافيه ... قام طريق للسنا مستقيم
لم تخف فى أثنائه خافيه ... حتى ترى منه اهتزاز النسيم

تلك هى قصيدته « محاسن الطبيعة » التى أجاد فى صياغتها وتوشيحها ، فكانت طرفة خالدة من طرائفه الفنية النفيسة ! . يصف فيها سكون البحر وهدوءه ، والليل وصمته ، تظللهما سماء جلواء صاحية الأديم ؛ وقد وثب القمر فى طلعة مشرقة وضاءة ، ليداعب البحر فى فرحة ومسرة ، وكأنه تاج من سنى الضياء ، على مفرق السماء ! .

وقوله :

انظر إلى تلك المعلقة التى ... سترت ظلام الليل بالأضواء
قطع من البلور محدقة بها ... يحكين شكل أصابع الحسناء
فكأنها بدر تلألأ فى الدجى ... وكأنهن كواكب الجوزاء
بل قد يمثلها الخيال كأنها ... قمر أحيط بهالة بيضاء

قال هذه الأبيات مرتجلا فى « معلقة » وقد برع فى وصفها جونحاً إلى آفاق رحيبة من الخيال المطلق . والذى نلمسه الآن فى شعره هو أن الطابع الوصفى يغلب على شعره فى الطبيعة والذى يصاحبه الجرس واللون والخيال الجنح ؛ وقد يمتزج أحياناً بفلسفة الحياة والعاطفة والوجدان

ونراه بعد حين يرتد طرفه عن مباهج الحياة وزخارفها ، ليرى وطنه وقد عبثت به أيدى الحدثان ، وارتفعت فى أرجائه سياط الطغيان ، فأنشد يقول ودمعه لا يرقأ :

نظرت إلى عرض البلاد وطولها ... فما راقنى عرض هناك ولا طول
ولم يبد لى فيها معاهد عزها ... ولكن رسوم رثة وطلول
أأمنع عينى أن تجود بدمعها ... على وطنى إنى إذن لبخيل

لنشاركه فى هذه النظرة التى ألقاها على البلاد ، حيث تتجلى فيها دقة الحس وفيض الشعور ، لنرى وإياه بعين المتألم الخبير « فما راقنى » بالعجب ! . تلك البلاد التى استهوته بجمالها وأسرته بفاتنها ، يعود فيراها على صورة غير التى كان يعهدها منذ قبل . . « ولكن رسوم رثة وطلول » ، وكأننا نحس ونشعر بما يرى إليه الشاعر ، فيغمرنا الألم ويحز فى نفوسنا ، فنشاركه دموع الحزن والأسى لما أصاب الوطن الجليل . . ثم ماذا ؟ ! « إنى إذن لبخيل » ، وهنا تم اللوحة التصويرية فى أجل معانيها وأنبل غاياتها ، فتدفع بالروح المتطلعة الى أبعد حدود الذات ، الى الانطلاق الحر ، الى ثورة النفس الصاخبة التى يرى اليها الشاعر فى هذا الهمس البسيط يبغى من وراء ذلك تحطيم القيود وهدم السدود ، ودك صروح الغزاة المعتدين ! !

هذا هو الرصافى فى شعر الطبيعة ، ذلك الشعر الذى يتراءى لنا من خلال سطوره رقة النفس وطموحها فى سبيل الاعتزاز بهذه الأرض الطيبة الساحرة الجميلة ! .

والرصافى الآن فى مقدمة موكب الخالدين ، وشعره هذا سيبقى سفراً قيماً للتاريخ التصويرى للطبيعة المراقية !

بغداد

أنيس الحورانى

مع أبي تمام في آفاقه :

قصيدة النار *

للأستاذ محمود عزت عرفة

المعتصم والأفشين :

لم يكن المعتصم رجل علم كأخيه المأمون ، وإنما كان جنديا قديرا يحسن اصطفاء القواد وتخير رجالات الحرب . وقد وصف نفسه في بعض مجالسه بأنه « الخليفة الأمي » فلم يعد وجه الحق في شيء

وكان موقف الدولة العباسية وعوامل تكوينها قد قضت عليها أن تستجلب العناصر الغريبة إلى جيشها ، من فرس وترك وغيرها ، تستعين بهم على كبح جماح العرب من فلول بني أمية وأشياع بني هاشم

فلما جاء أبو إسحق المعتصم أربى في ذلك على أسلافه ، حتى لأسقط أسماء العرب من ديوان الجيش مكتفيا بالأتراك والأبناء ، وبجند اجتلبهم من فرغانة وأشروسنة (١)

ولما نبت بغداد بأولئك الجند ، وآذوا أهلها وتأذوا بهم ، اختط لهم المعتصم حاضرته الجديدة سامرا (٢) ، وأبانهم بالأزياء الجديدة عن سائر جنده ، ورفع من مراتبهم وأقدارهم ، وجعل بأيديهم مستقبل الخلافة

وكان الأفشين (حيدر بن كاوس) أحد هؤلاء الذين اصطفاهم المعتصم ، وهو فارسي الأصل من أبناء أشروسنة . ولقب الأفشين كان يطلق على كل من ملك في تلك الناحية

---

* تحليل أدبي لقصيدة أبي تمام في هجاء الأفشين قائد المعتصم وذكر مقتله وصلبه . مع بحث تاريخي يوضح بعض ملابسات هذا الحادث ، وإشارات الشاعر إليه

(١) بلد كبير فيما وراء النهر بين فرغانة وسمرقند ، واسم إقليمها الصغد ـ أنظر معجم البلدان

(٢) الفخري لابن طباطبا ـ شرح السبب في بناء سامرا ص ١٧٣

والثابت أن الأفشين من أبناء الملوك الذين حكموا هنالك ؛ وقد كانت منزلته رفيعة لدى قومه حتى اليوم الذي قتل فيه ، بل إن إفراطهم في الولاء له كان إحدى التهم التي ووجه بها وأدت إلى أن يسلب نعمته ويصلب

ويرجع اتصال الأفشين بالمعتصم إلى ما قبل توليه الخلافة بسنوات . ففي عام ٢١٣ هـ عقد المأمون لأخيه لواء الولاية على الشام ومصر . وفي نفس السنة اندلع بمصر لهيب الثورة . ووثب عرب القيسية واليمانية بعامل المعتصم فقتلوه ، وهو عمير بن الوليد الباذغيسي الذي رثاه أبو تمام بإحدى بواكير شعره وهو بمصر فقال :

أعيدي النوح معولة أعيدي	وزيدي من بكائك ثم زيدي
وقومي في نساء حاسرات	خوامش للنحور وللخدود
هو الخطب الذي ابتدع الرزايا	وقال لأعين الثقلين : جودي
ألا رزئت خراسان فتاها	غداة ثوى عمير بن الوليد !

ومرت بمصر أحداث جسام استدعت أن يأتي المعتصم بنفسه فيسكن من ثائرها . ولما غادرها تجددت أسباب الفتنة فلم يجد بدا من أن يبعث إلى مصر بأفضل رجاله عنده وهو الأفشين . فقدمها في ذي الحجة عام ٢١٤ هـ (٣)

ولا تكاد كتب التاريخ تشير إلى الأفشين بشيء قبل أن تجرى هذه الحوادث ؛ فلا شك فيه أن تلك أول مهمة خطيرة يعهد إليه المعتصم بها

وقد استمر بمصر يقاتل القوم في وثبات متتابعة حتى قدم إليها المأمون بنفسه في المحرم من عام ٢١٧ هـ

وتنقطع أخبار الأفشين بعد هذا . ولعله عاد في ركاب المأمون ، ثم التحق بموضعه من حاشية أميره المعتصم . على أن المأمون توفى في رجب سنة ٢١٨ هـ ، وخلفه المعتصم بعهد منه . فخاض غمار حربين كبيرتين استغرقتا أعوام حكمه : أولاهما حرب الخرمية في الشرق ، وقد انتهت بفتح (البذ) معقل بابك الخرمي واعتقاله وقتله والثانية حرب الروم في الغرب — وكانوا قد تحركوا على صدى حوادث الخرمية — وتمت هزيمتهم بفتح (عمورية)

---

(٣) النجوم الزاهرة : ج ٢ ص ٢١٢

أقوى حصونهم على حدود المملكة الإسلامية فى آسيا الصغرى

وكان الأفشين هو بطل الخلافة الجلى وفارسها المعلم فى هاتين السلسلتين من الحروب

حرب الخرمية:

والخرمية قوم من المجوس كانوا يدينون بمذهب التناسخ ، ويبيحون المحرمات من تناول الخمر وزواج ذوات المحارم وسائر ما تستجيب إليه الأهواء

وكان رئيسهم جاويدان بن سهل صاحب جبال البذ ، الذى خلفه عند موته بابك بن بهرام مدعيا أن روح جاويدان حلت فيه . وقد حدث هذا فى سنة ٢٠١ هـ والمأمون لا يزال فى أوائل حكمه مقيما بمدينة مرو لم يبرحها بعد إلى بغداد

ويقول ابن الأثير فى تاريخه (الكامل) إن تفسير جاويدان : الدائم الباقى ، ومعنى (خرم) الفرح . . قال : وهى مقالات المجوس . والرجل منهم يتزوج أمه وأخته وابنته ، ولذا يسمونه دين الفرح ، ويعتقدون بمذهب التناسخ ، وأن الأرواح تنتقل من حيوان إلى غيره (٤)

وقد جد المأمون فى حرب بابك حتى استعصى عليه أمره ؛ وأشخص إليه جندا كثيفا على دفعات ؛ فانهزم أمامه من قواد الخلافة على التوالى ، بين ناج وقتيل وأسير : يحيى بن معاذ ، وعيسى بن محمد بن أبى خالد ، وعلى بن صدقة ، وأحمد بن الجنيد الإسكاف ، وإبراهيم بن الليث بن الفضل ، ومحمد بن حميد الطوسى. وكان ذلك فى الفترة ما بين عامى ٢٠٤ ، ٢١٤ هـ

ومن هنا نفهم معنى ما سجله المأمون فى وصاته وهو يحتضر ، لأخيه أبى إسحق المعتصم حيث يقول : والخرمية فأغزهم ذا حزامة وصرامة وجلد ، واكنفه بالأموال والسلاح والجنود من الفرسان والرجالة . فإن طالت مدتهم فتجرد لهم بمن معك من أنصارك وأوليائك . واعمل فى ذلك عمل مقدم النية فيه ، راجيا ثواب الله عليه (٥)

ولم يأل المعتصم فى محاربة الخرمية جهدا ، فسير إليهم قائده إسحق بن إبراهيم المصعبى سنة ٢١٨ هـ وعقد له الولاية على الجبال ، فأوقع بفريق منهم فى همذان وعاد ومعه منهم أسرى . وأعقبه المعتصم بالأفشين حين تبين له استفحال خطبهم ، وانضواء الكثيرين تحت لواء دعوتهم . فأوقع بهم عند حصن أرشق » ، ونجا بابك هاربا إلى « موقان » ثم أرسل إلى البذ لجاءه جند تقوى بهم وعاد إلى حصنه

وما زال الأفشين ينتقل من موضع إلى موضع ، وهو يسد المسالك ، ويستجلب الميرة ، ويرم الحصون ، ويبث الأرصاد والعيون ، حتى أوفى على حصن البذ فحاصره ، واستولى عليه فى رمضان سنة ٢٢٢ هـ

وقد كان لهذا النصر أثره المدوى فى نفوس المسلمين ، فشرفت به مدائح الشعراء وغربت تنوه بفضل الأفشين وقواده ممن أعانوه على هذا العمل الجليل

يقول أبو تمام — باقتراح من عبد الله بن طاهر — فى وصف بلاء الأفشين ، وعظم تدبيره فى هذه المواقع :

لقد لبس الأفشين قسطلة الوغى ... محشا بنصل السيف غير مواكل
وجرد من آرائه حين أضرمت ... له الحرب، حدا مثل حد المناصل
وسارت به بين القنابل والقنا ... عزائم كانت كالقنا والقنابل
رأى بابك منه التى لاسوى لها ... سوى سلم ضيم أو صفيحة قاتل

ويقول فى مدحه بعد عودته ظافرا ، من نونية مطلعها :

بذ الجلاد البذ فهو دفين :

قاد المنايا والجيوش فأصبحت ... ولها بأرشق قسطل عثنون
فترك أرشق وهى يرق بامها ... صم الصفا، فتفيض منه عيون
لو تستطيع الحج يوما بلدة ... حجت إليها كعبة وحجون
لاقاك بابك وهو يزأر، وانثنى ... وزئيره قد عاد وهو أنين
لاقى شكائم منك (معتصمية) ... أهزلن جنب الكفر وهو سمين

ويقول فى مدح أبى سعيد محمد بن يوسف الطائى — أحد قواد الأفشين — وكان قد أنزله بموضع يقال له (خش) :

أبلغ محمدا الماق كلاكله
بأرض خش أمام القوم قد لبجا

(٤) الكامل لابن الأثير : ج ٦ ص ١٢١
(٥) تاريخ الطبرى : جـ ١٠ ص ٢٩٤

ما سر قومك أن تبقى لهم أبدا
وأن غيرك كان استنزل الكذجا (٦)
أضاء سيفك ، لما اجتث أصلهمو
ما كان في جانبي تلك البلاد دجى
ويوم أرشق والآمال مرشقة
إليك ، لا تبتغي عنك منعرجا
أرضهتهم خلف مكروه فطمت به
من كان بالحرب منهم قبله لهجا

ثم يصف مداهمته بابك في موقان حتى تخلى عنها هاربا إلى البذ ، كما ذكرنا قبل :

وفي موقان كنت غداة ماقوا | أشد قوى من الحجر الصلود
مشت خببا سيوفك في طلاهم | ولم يك مشيها مشي الوئيد
سيوف عودت سقيا دماء | بهامة كل جبار عنيد
ويوم البذ لما يبق حقد | على الأعداء ، في قلب حقود
حططت ببابك فانحط لما | رأى أجل الشقي مع السعيد
فما ندري ؛ أحدك كان أمضى | غداة (البذ) أم حد الحديد ؟

ويقول مخاطبا ابن يوسف أيضا من دالية أخرى :

عطفت على رغم المداعزم بابك | بعزمك عط الأتحمي المعضد
وموقان كانت دار هجرته فقد | توردتها بالخيل أي تورد
حططت بها يوم العروبة عزه | وكان مقيما بين نسر وفرقد

— ويخاطبه في دالية ثالثة فيقول :

تركت منهم سبيل النار سابلة | في كل يوم إليها عصبة تفد
كأن بابك بالبذين بعدهمو | نؤى أقام خلاف الحي أو وتد
وأهل موقان إذ ماقوا فلا وزر | أنجاهمو منك في الهيجا ولا سند
لم تبق مشركة إلا وقد علمت | إن لم تتب ، أنه للسيف ما تلد

ويقول أبو تمام في مدح أبي دلف — القاسم بن عيسى العجلي — وكان قائد فرقة المطوعة تحت إمرة الأفشين :

إن الخليفة والأفشين قد علما | من اشتفى لهما من بابك وشفى
في يوم أرشق والهيجاء قد رشقت | من المنية رشقا وابلا قصفا
فكان شخصك في أغفالها علما | وكان رأيك في ظلمائها سدفا
نضوته دلفيا من كنانته | فأصبحت فوزة العقبى له هدفا

وكان بابك قد نجا بنفسه بعد سقوط معقله ، ومضى هاربا إلى بلاد الروم عن طريق أرمينية ، فأذكى الأفشين وراءه العيون وبث الأرصاد في كل مكان حتى قبض عليه . وإلى هذا يشير أبو تمام بقوله :

ورجا بلاد الروم فاستعصى به | أجل أصم عن النجاء حرون
هيهات لم يعلم بأنك لو ثوى | بالصين لم تبعد عليك الصين !

وكان الذي قبض على بابك سهل بن سنباط — أحد بطارقة أرمينية — عند اجتيازه بأرضه متخفيا :

وأزمع نية هربا فحامت | حشاشته على أجل بليد
تقنصه بنو سنباط أخذا | بأشراك المواثق والعهود
ولولا أن ريحك ذربتهم | لأحجمت الكلاب عن الأسود

ولكي نعرف حقيقة ذكر الكلاب والأسود هنا تقول إن الأفشين كان قد ألح على ملوك أرمينية وبطارقها بوجوب التحري عن كل من يجتاز أرضهم وحثهم على القبض على بابك ووعدهم في ذلك ومناهم . . فلما مر بابك بأرض ابن سنباط عرف حقيقته ولكنه جبن عن القبض عليه . فتملقه بالخضوع والطاعة واستضافه في حصنه ، ثم كاتب الأفشين يخبره . فأرسل الأفشين من استوثق له من صحة ذلك ثم بعث بأبي سعيد مع جند فقبضوا عليه . ولما تحقق بابك خيانة ابن سنباط أغلظ في شتمه وقال له : بعتني لليهود بالشيء اليسير . لو أردت المال وطلبته لأعطيتك أكثر مما يعطيك هؤلاء .

ولما مضوا ببابك سير معه ابن سنباط ابنه معاوية « فأمر له الأفشين بمائة ألف درهم ، وأمر لسهل بألف ألف درهم استخرجها له من أمير المؤمنين ، ومنطقة مغرقة بالجوهر ، وتاج البطرقة . فبطرق سهل بهذا السبب (٧) »

وقال صاحب النجوم الزاهرة : كان المعتصم قد جعل لمن جاء به حيا ألفي ألف درهم ، ولمن جاء برأسه ألف ألف درهم . فجاءه

(٦) قال ياقوت : الكذج اسم حصن وناحية بأذربيجان من منازل بابك الحرمي

(٧) الطبري : ج ١٠ ص ٣٣٣

من حديث الشعر

الكتاب الثانى

صديقى العزيز ...

رأيتنى أزدرى الشعر وأصف الشعراء بالجهل والسذاجة . فأحفظك هـذا الوصف ، وغاظك هـذا الازدراء . فهببت تذود عن الشعر والشعراء . ولكنك لم تسلك فى هـذا الدفاع طريقا سواء ، وإنما التوت بك السبل فخلطت وأفسدت الأمر على نفسك وعلى الشعر والشعراء ، ذلك أنك قد زعمت أن الشعر متنوع مختلف . منه ما يعتمد على الواقع ، ومنه ما يعتمد على الخيال ، ومنـه ما يعتمد على الواقع والخيال جميعا ، وأنك أنت لا تؤثر هـذا الشعر الذى يسترسل فيه صاحبه مع الخيال ، ويسرف فى ذلك فيتورط فى المبالغات وألوان الغلو ، وإنما تؤثر هـذا الشعر الذى لا حظ فيه للخيال ولا الاختراع ، وإنما هو وصف صادق مطابق للحق الواقع ، وأن مذهبك فى ذلك مذهب العرب الأوائل الذين قال قائلهم :

وإن أحسن بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا

وإذن فأنا مسرف مبالغ حين أزعم أن الشعر جهل وسذاجة لأنه يعتمد على الخيال ولا يعنى بالحقائق ، وأين يقع شعر أبى العلاء من الخيال ؟ بل أين تقع حكم المتنبى وحكم أبى تمام من الخيال ؟ وعلى هذا النحو مضيت فى دفاعك عن الشعر والشعراء ، فأفسدت الأمر — كما قلنا — على نفسك وعلى الشعر والشعراء . ذلك أن ما تسميه شعرا يعتمد على الحق الواقع ليس من الشعر فى شىء ، وإنما هو من النظم فى كل شىء .. وإذن فمن الخير لى ولك أن نتفق على تعريف الشعر حتى لا أسمى نظما ما تسميه شعرا ، ولا تسمى شعرا ما أسميه نظما

وأنا حين أعرض لتعريف الشعر لا أحب أن أتحذلق وأتكلف ، وأضع لك جملا غريبة كأنى أحدد أصلا من أصول الفلسفة العليا ، أو كأنى استنزل وحيا من السماء ، ولست فى الوقت نفسه أريد أن أخترع أو أن أبتكر ، وإنما أريد أن آخذ الأشياء كما هى ، وأتمثلها كما يتمثلها المستنيرون من الناس . وأظنك معى فى أن الشعر والنظم كلاهما كلام موزون مقفى ، ولكن الشعر يمتاز من النظم بأنه يصدر عن الشاعر كما يصدر التغريد عن الطائر الغرد ، وكما ينبعث العرف من الزهرة الأرجة ، وكما ينبثق الضوء من الشمس المضيئة ، فتأثير الإرادة وتأثير الروية فيه ضئيل جدا ، ولعله أن يكون معدوما . أما النظم فتأثير الإرادة وتأثير الروية فيه واضح جدا ، أوضح من أن نعرفه أو ندل عليه ولعله أن يكون إرادة كله ، وروية كله ، ومن هنا كانت العاطفة

به سهل البطريق فأعطاه المعتصم ألفى ألف درهم ، وحط عنه خراج عشرين سنة (٨)

أما بابك — وقد شبهه أبو تمام فى بيته بالأسد — فكان مملوء النفس من كبر ، مأخوذا بداء العظمة التى وصلت به إلى حد التأله . ولما وصل إلى الأفشين كتاب المعتصم بالأمان لبابك ، وهو متوار قبيل القبض عليه ، عرضه على بعض من استأمن إليه من أصحاب بابك — وفيهم ابن له كبير — على أن يستقصوا موضعه ويوصلوه إليه . فلم يجرؤ أحد منهم على ذلك . قال الأفشين لبعضهم : ويحك ، إنه يفرح بهـذا ! فقال : أصلح الله الأمير ، نحن أعرف بهذا منك !

ولما وصل الكتاب إلى بابك على يد اثنين ضمن لهما الأفشين النفقة على عيالهما إن قتلا — ضرب بابك عنق أحدهما وشد على صدره الكتاب مختوما لم يفضه . وفض كتابا آخر كتبه إليه ابنه يحسن له التسليم ثم أطلق الرسول الثانى وحمله إلى ابنه كلاما كله سب وإفحاش ، وفيه قوله : إنك من جنس لا خير فيه ، وأنا أشهد أنك لست بابنى . تعيش يوما واحدا وأنت رئيس خير أو تعيش أربعين سنة وأنت عبد ذليل ؟ ؟ (٩)

وحمل الأفشين بابك إلى سامراء فأمر المعتصم بقتله ، ثم صلب بموضع يقال له العقبة ، فى شهر صفر سنة ٢٢٣ هـ

(يتبع) محمود عزت عرفة

---

(٨) النجوم الزاهرة : ج ٢ ص ٢٣٦

(٩) الطبرى : ج ١٠ ص ٣٢٨

وحرارتها هي كل شيء في الشعر ، ولعلي أن أقول إن الشعر عاطفة كله ، ومن هنا أيضا كان العقل ونتاجه خطرا جدا على الشعر يفسده أو يكاد يفسده إفسادا لا حد له . وإذا كان الشعر عاطفة فيجب ألا تنظم هذه العاطفة نظما في الكلام ، وإنما يجب أن تصور تصويرا فنيا جميلا . وكيف أعد شعراً قول القائل : أنا محزون جدا ، أو أنا مسرور جدا ، دون أن يصور لي حزنه أو يصور لي سروره ؟ بل كيف أعد شاعرا من قال لي في كلام موزون مقفى : إنه محزون أو إنه مسرور ؟ يجب إذن أن تكون العاطفة مصورة — ولكن تصوير العاطفة ليس شيئا إذا لم يكن تصويرا فنيا جميلا . وكيف أستطيع أن أطلق على إنسان اسم الشاعر والريشة تضطرب في يده والألوان تختلط في لوحته ؟ والفن والجمال يحتضران بين يديه ؟ يجب إذن أن تكون العاطفة مصورة تصويرا فنيا جميلا — ولكن التصوير الفني لا يعتمد على العقل والملكات المفكرة ، وإنما يعتمد على الخيال والملكات الخالقة المبتكرة . وهل الاستعارة والمجاز والتشبيه إلا مظاهر من مظاهر الخيال ؟ وهل هي في الوقت نفسه إلا ألوان من ألوان التصوير الكلامي الفني الجميل ؟ فكيف تقول لي إذن : إن الشعر بعضه يعتمد على الواقع ، وبعضه يعتمد على الخيال ، وبعضه يعتمد على الواقع والخيال جميعا ؟ وهل من فرق بين أن تقول لي هذا وبين أن تقول لي : إن الشعر بعضه يعتمد على التصوير وبعضه لا يعتمد عليه ؟ وإذا لم يكن الشعر تصويرا فلعمري ماذا يكون ؟ أيكون تحليلا كتحليل العلم أم يكون شرحا كشرح الفلسفة ؟ إن أبا العلاء — يا صديقي — لم يكن شاعرا في كل ما نظم ، ولكنه كان شاعرا حينا وكان ناظما حينا آخر ، وكان يجيد مرة ويتورط في الردىء مرة أخرى . وإن أبا الطيب وأبا تمام لم يكونا يحشران الحكم حشرا بين أبيات القصائد ، وإنما كانت حكمهما في كثير من الأحيان تكملة للصورة الفنية التي يرسمانها ، وأنت إذا فتشت في هذه الحكم رأيتها مبالغات وخيالات دفعت إليها العاطفة المنفعلة دفعا ، فلا بد في الشعر إذن من عاطفة ، ولا بد لهذه العاطفة من تصوير كلامي منظوم ، ولا بد لهذا التصوير من جمال فني ، ولا بد لهذا الجمال من خيال . فنحن الآن نستطيع أن نفهم أن الكلام المنثور وإن احتوى على عاطفة وتصوير وجمال فني وخيال ليس شعرا لأنه فقد النظم ، وأن نفهم أن الكلام العاطفي المنظوم الذي لا تصوير فيه للعاطفة ليس شعرا لأنه لا تصوير ، ومن ثم لا جمال ولا خيال ، وأن نفهم أن الأفكار التي توضع في كلام موزون مقفى ليست شعرا لأن الأفكار لا تحتمل التصوير الشعري الجميل وإنما هي محتاجة إلى الدقة وإلى التشدد في الدقة وإلى أن تسمى الأشياء بأسمائها

وأنا أكتب إليك هذا وبين يدي كتاب في الأدب المقارن لزميل من زملائك أساتذة البلاغة والنقد الأدبي ، وهو يعرف الأدب — ومنه الشعر طبعا — بأنه فكرة مصورة مزجاة بعاطفة . وإذا صح أن نعرف النثر بأنه فكرة فإنه يستحيل علينا أن نعرف الشعر بأنه فكرة . على أن النثر ليس فكرة مصورة مزجاة بعاطفة ، فقد يكون النثر فكرة محضة وقد يكون عاطفة محضة ، وقد يكون فكرة مزجاة بعاطفة ، وقد يكون عاطفة مزجاة بفكرة ، وعلى أن هذه الفكرة ليست مصورة دائما ، وإنما قد تكون مصورة مرة ، وقد تكون مجلاة مرة أخرى ، وقد تكون مشروحة مرة ثالثة وعلى هذا النحو ، وكلها مع هذا نثر ، ونثر فني . على أننا لا نحب أن نناقش الأستاذ الفاضل في هذا ، وإنما الذي نريد أن نقوله : هو أن الشعر ليس فكرة مصورة مزجاة بعاطفة ، وإنما الشعر عاطفة مصورة ، لأن نتاج العقل لا يحتمل التصوير الشعري ، وإنما هو في حاجة إلى الدقة في التعبير . وماذا يقول الأستاذ الفاضل في هذه العواطف المصورة تصويرا فنيا جميلا ، والتي لا تحمل في طياتها فكرة من الأفكار ؟ أيسقطها من الأدب لأنها ليست فكرة ؟ أم ماذا يصنع بها ؟

على أن من الحق أن نقرر أن زميلك الفاضل قد احتاط لنفسه حين عرف الأدب بأنه فكرة مصورة مزجاة بعاطفة ، احتاط لنفسه احتياطا فهو يفرق بين الفكرة بمعناها العلمي المحض ، والفكرة بمعناها الأدبي ، ويرى أن الفرق بينهما هو الفرق بين « العالمية » و « الفردية » أو بين « الموضوعية » و « الذاتية » فالفكرة العلمية حقيقة واقعة تفرض نفسها على الناس جميعا ، ولا تفقد صحتها إلا إذا قام البرهان العلمي على فسادها . أما الفكرة الأدبية فليست حقيقة واقعة وإنما هي حقيقة في رأي الشاعر . وقد يراها الناس

وهما كاذبا وخيالا باطلا ، فهى فردية ذاتية وليست عالمية ولا موضوعية . هو يريد أن يقول : إن الأدب يصف الخواطر النفسية والعواطف الإنسانية ، ولكنه لم يقل هذا فيريح ويستريح ، وإنما لف ودار فتعب وأتعب الناس معه ولم يصب المرمى بعد هذا التعب وهذا الإتعاب ، لأن الخواطر النفسية ليست أفكارا وإن وصفها بالذاتية ووصفها بالفردية ، وإنما هى خواطر ، وخواطر ليس غير . ماذا أقول ؟ بل إن الأدب ليس أفكارا ذاتية وأفكارا فردية ليس غير ، وإنما هو ولا سيما إذا كان نثرا فنيا أفكار علمية وحقائق واقعة لم تصغ صياغة علمية جافة ، وإنما صيغت صياغة أدبية جميلة أبعدتها عن جفاف العلم وجفوته . وكيف أقول إن النثر الفنى أفكار ذاتية أو فردية وهو لا يرقى إلا فى الأمم التى ارتقت فى الحضارة وتقدمت فى الحياة العقلية ، وأخذت من العلم والفلسفة بنصيب لا بأس به . أنا إذن عاجز عن أن أفهم أن الأدب فكرة مصورة مزجاة بعاطفة . وعاجز أيضا عن أن أفهم هذا الفرق بين الفكرة العلمية والفكرة الأدبية . ذلك لأنى إن فهمت أن النثر فكرة فلن أفهم أن الشعر فكرة ، وإن فهمت أن الفكرة الأدبية ذاتية وفردية فلن أفهم أن النثر الفنى أفكار ذاتية فردية ، وإذن فالأستاذ مطالب بأن يوضح لى رأيه فى الأدب عامة وفى النثر خاصة وفى الشعر بنوع أخص .

على أننا قد ابتسمنا حين رأيناه يكلف نفسه شططا ويرهقها عسرا لإثبات أن الأدب ومنه الشعر فكرة مصورة مزجاة بعاطفة ، ولعله كان يلمح أن الشعر ليس فكرة ، وإنما هو عاطفة وشعور . فهو يقول إن العاطفة لا توجد وحدها بل توجد مدفوعة بفكرة ، أو هى بطبيعتها تنتهى متى تملكت صاحبها إلى فكرة من الأفكار . وأنا أحب أن أناقشه فى هذا الكلام ، لأن العاطفة قد لا توجدها فكرة من الأفكار وقد لا تنتهى حين تتملك صاحبها إلى فكرة من الأفكار . ومن المحقق أن المحزون لا يفكر فى الحزن أولا حتى يحزن ، ومن المحقق أيضا أن المحزون إذا تملكه الحزن لا ينتهى حزنه إلى فكرة من الأفكار ، وإنما ينتهى به إلى البكاء ، وقد ينتهى به إلى العويل

وأنا أحب أن أترك زميلك الفاضل ، فأنا لا أكتب إليه هو ، وإنما أكتب إليك أنت . وأكبر ظنى أننا الآن قد اتفقنا على تعريف الشعر ؛ فهو عاطفة مصورة تصويرا فنيا جميلا فى كلام موزون مقفى ، وإذا قلنا مصورة تصويرا فنيا جميلا فقد ذكرنا الخيال القوى المبتكر . فنحن إذن لم نعد الحق حين قلنا إن الشعر لغة الحس والشعور والخيال . وهذه الملكات التى تنشأ مع الفرد والجماعة وتنضج وترتقى قبل أن ينضج العقل ويرتقى التفكير . ولم نعد الحق أيضا حين قلنا إن الشعر أول مظاهر من مظاهر الفن فى الكلام لأنه لغة الحس والشعور والخيال ، وأن النثر آخر مظهر من مظاهر الفن فى الكلام لأنه لغة العقل ومظهر التفكير . ولم نعد الحق أيضا حين قلنا إن الشعر جهل وسذاجة لأنه يعتمد على الخيال الذى يمضى حيث يشاء ويصور الأشياء كما يشاء ، لا كما تشاء الأشياء أو كما تشاء الطبيعة . وأنت مخطئ يا صديقى إذ ظننت أنى حين أصف الشعر بالجهل والسذاجة أغض من شأنه أو أحط من قدره . فوصف الشعر بالجهل والسذاجة مدح له وثناء عليه . لأن الشعر الذى يوصف بالعلم والعمق نظم كله لا أثر فيه للشاعرية ولا للخيال . الشعر جهل وخير له أن يظل جهلا ، لأنه يفقد فنيته كلما ترك الخيال المبتكر وجنح إلى الحقائق الواقعة . والشعر سذاجة وخير له أن يظل سذاجة ؛ لأنه يفقد فنيته وجماله كلما ترك هذه السذاجة وجنح إلى التفكير والعمق . على أنى أحب أن تطمئن ويطمئن الشعراء ويطمئن الذين يحبون الشعر ويشفقون عليه ويجدون شيئا من اللذة الفنية فى قراءته وتغنيه ، فلن يستطيع هذا الحديث أن يميت الملكات الشعرية فى نفوس الشعراء . ولن يستطيع هذا الحديث أن يقطع السبيل بين عشاق الشعر وبين قراءة الشعر واستظهاره ، والتماس اللذة الفنية فى قراءته واستظهاره . بل أذهب إلى أبعد من هذا فأزعم لهم أن الشعر إذا اضمحل فى مصر فى هذا العصر الذى ارتقت فيه الحياة العقلية ارتقاء كبيرا ، فإنهم لن يفقدوا اللذة الفنية إذا التمسوها فى النثر الفنى . ففى هذا النثر يجدون حياة أدبية مشرقة ممتعة مخالفة كل المخالفة لهذه الحياة الشعرية الجاهلة الساذجة

وأرانى قد أطلت عليك ، وإن كنت لم أحدثك عن كل ما أريد أن أحدثك عنه فأنا مضطر الآن إلى أن أفرغ من هذا الحديث ، وإلى وقت آخر

كمال بسيونى

المقامة العرفانية

للأستاذ إبراهيم الابيارى

مكن الله له ومكن به

أساغ لنا وردا تورد ماءه

مياسير قد أعطوا ورد الحرب

وبابينونة ما بين الشارب واشرب ، ومن يسوى بالبشم السغب . وهل يحمد الرى مثل ظماء ، أو يشكر الشبع إلا على خواء

وقديما نكر الناكر على جساس ألا يغيث كليبا بشربة ، وقيل القيل أن غنم عاص الماء معبد بن زرارة ، وأذموا عبسا على غدير قلهى حين ردت عنه ذبيان عطشى ، وأعوا ابن زيادفى صده ابن الزهراء عن الشريعة

وهل عندك أن ثمود ضنت أن تماض بماءلبنا ، وأبت أن تشرك فى بئر الناقة ، وأن فتاة ابن قبيصة لم تذكر إلا ماءة صداء حين سئلت أن تمايس بين لقيط ومن بنى بها بعده ، وأن العرب حين عقلوا الماء جعلوا الزمام إليه فقالوا : الماء ملك آمر

وأصيخ إليك تشمر منكرا :

فما ظمأ نشكو ولا الماء نفقد :

ثم تنثر مردفا : وكيف يصدى من فى يمينه هذا النهر يجمع ، أو مع العشرين وفى ظل الحاضرية تخوفنا الأعيه ، وأين منا هذا الورد المحلأ ، والحوض غير الموطأ

ويحضرنى فيك :

عدوت مرادى سبط هيمان فاقصد

لقد لقيت عشيرتك والماء تحت أرجلها ، وحيل بينها وبينه وخريره فى آذانها .

وتحجونى أومىء إلى عهد لم يأتك نبؤه فى كتاب ، فما فى المنقول أن قلا مما أقول كان بله كثره

وفى واعيتك أنا ذره الفيض والخصب ، لا القحط والجدب ، والوسيع لا يتضيق

وجازك أن شاهدى حاضر فى زرافات لا تفتأ على الصدى ، تعرفهم فى اللسان المقول ، والعقل الخرف ، واليد الخرقة

وعلك أن الظمأ يقتل ولا يدى . وتجرى فى إثر من وصفت لك فتحصى منهم فوق ما أحصيت فتهتال ، وتسألنى أى ظمأ هذا ؟

هـذا ظمأ القرن الموفى على العشرين لا ظمأ القرون الأولى . أعوزهم الماء فربطوا به حلهم وترحالهم ، حربهم وسلمهم ، ولو عبدوا غير الله لعبدوه ، وهو لا ينقع إلا غلة الأجواف

ويعوزنا للعلم ورد نروده

شكت ظمأ منه النفوس اللواغب

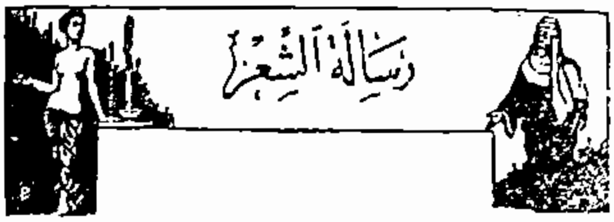
وكيف تقاس بغلة الأنفس غلة ، أو كيف تحرص على أرماق للجهالة وذماء للضلالة ؟ وما للأعمار تسأل الأعمار ، وغيرك من لا يختار زيادة يوم على أثرة من علم

ثم ألا ترى أنى لم أعد الصواب حين حركتك بالماء ، وأنى لم أبعد حين جمعت بين ورد وورد

وأعدك بعد أنى لن أجنح إلى التلميح ، ولن تلقانى إلا على صريح

ابراهيم الابيارى

(الرسالة) المقامة رياضة أدبية ، كما أن الأحجية رياضة عقلية ، تلك تمتحن بها فهمك . والصبر فى كلتا الحالتين هو المفتاح



من الموشحات

« ما لتلك المعالم انطمست »

للأستاذ أبي الوفاء محمود رمزي نظيم

أتراه يحنو على الصب   أهيف القد
أي وجد أثار في قلبي   آه يا وجدي
من لوعة وجراح   لو رآها لرق

* * *

أخذتني بالسحر صورته   فأنا المضنى
لا تقولوا كالغصن قامته   إن مشى غصنا
لا تقولوا كالبدر طلعته   وجهه أسنى
لا تقولوا كالسحر نظرته   زهوا الحسنا
ان حسن الملاح   مبعث للأرق

* * *

وصف من أهواه لا أرضاه   انا صب غيور
لم يزل حاضراً وعيني تراه   فهو فيها النور
غاية الوهم هجره وجفاه   لست بالمهجور
في فؤاد مثاله وسناه   بدد الديجور
فخيالي صباح   والظلام أمحق

* * *

كنت ميتاً والحب أحياني   ياله من محياه
هو نور أضاء وجداني   بشعاع سناه
وخلود للنفس روحاني   عند من تهواه
نحن نبقى والهيكل الفاني   في الثرى مثواه
قد قضى وارتاح   كالهشيم احترق

* * *

لا تظنوا دنياكمو شيا   إنها أوهام
حملتني همومها حيا   وعذاب السقام
وكوتني بنارها كيا   دائب الآلام
وطوتني سنينها طيا   يا لها أحلام
تخدع الأشباح   حلمها ما صدق

* * *

والثرى يهضم الجسوم فلا   يبق منها شي
لجة كل من بها نزلا   يبتلي بالبلي
لا تثر في مآلنا جدلا   لا يرح الحي
خل من لم يزل يجد أملا   غافلا في الحي
لاهيا بالراح   بين نفح العبق

* * *

أين أيامنا التي سلفت   في قديم العصور
ما لتلك المعالم انطمست   ولذاك النور
بالأرض بأهلها شقيت   حكمة المقدور
مالها في خصبها نكبت   خصبه المشهور
هل طوته الرياح   ثم جف الورق

* * *

وطن قام فيه « رمسيس »   فأذل الأمم
أين « خوفو » وأين « اخيس »   وبناة الهرم
ذهبت بالكرام « منفيس »   وأقام العدم
واستباح النفوس ابليس   فأباد الشمم
وقضى واستباح   وبغى وسرق

* * *

لم يعد من مجدنا باقي   فأزل كربي
واملأ الكأس أيها الساقي   وأرح قلبي
فخمور تذيب أشواقي   بلسم الحب
ساء عيشي ما بين أوراقي   ليس ذا ذنبي
فاملأ الأقداح   من ورود الشفق

* * *

أيها النائمون في الشرق   في ظلال الخمول
إن سيل الغرب لا يبقي   ويبيد الأصول

قد خدعتم بلمعة البرق يا لها من عقول
وضيت بالصغار والرق في حياة تزول
كأمـــــا أنراح كالشراب اندفق

* * *

وافترقتم في أرضكم شيعا سميت أحزاب
وكل قوم لحزبه تبعـــا ثم صاح الغراب
وحدة ركنها قد انصدعا فتح الأبواب
شكر الطـــامعون ما صنعا وشربنا العذاب
يزهق الأرواح ويزيد القلق

* * *

كل جهاد لنا بروح سدى ونحن في استعبـاد
وكيف يلق أخو الجهاد هدى وقومه الحسـاد
لا تتبعوا غير قائد أبداً لكل قوم هاد
كل افتراق بين الشعوب بدا يمزق الأكباد
وتدوم الجراح ويتم الفرق

« منيل الروضة » محمود رمزي نظيم

في الربيع

للأديب محمد مفتاح الفيتوري

ربوتنا اعشوشبت وكوخنا المحـل
وإبلنـــا أنتجت وشاؤنا مطفـل
والقمح في حقلنا ... قرطه السنبـل
واختال في أرضنا المحراث والمنجل
وكرمة المنحنى ... ناءت بما تحمـل
وامتلأت بالندى القنـاة والجـدول
والورد في دربنا عاطفه المندل
وحام في جونا البازي والأجدل
وعاد شحرورنا الجميـل والبلبل ...
ونسمات المسا تحكي وتسترسـل
كأنها في الدجى شـاعرة تنزل
وجددت ريشها الحـائم المـدل
ولاح وجـه الربيع حيث نستقبـل
قد كان في فصله ميعـادنا الأول
حبيبتي استيقظي فـإنه مقبـل ...

* * *

لبي نداء الصبا أيتهـا الراعيـه
وكحلي مقلتيك بالرؤى الصاحيه
وجردي عنك ذي الغلالة القـاسيه
واستقبلي ركبه فتــانة عاريه
فأنت عنـد الربيع زهرة سـاميـه
والزهر يهوى الفضا ويكره الآنيه
هيا بنا المروج والربى الحاليه
نهتز في خفة الـ السخـائل اللاهيـه
ونهـد أشواقنا للسفح والرابيـه
ونبن أحـلامنا بالرملة الصافيه
مدائنا ... أو قصورا ... أو دمى زاهيه
أو نقطف الزهر كي تلقفـه الهاويه
أو نسرق الشهد من خليـة الجانيـه
أو نختبئ من زوايا المرج في زاويه
أو نجذب الشمس من شعورها الدانيه
أو نحبس الضوء في سلالنا الواعيـه
أو نضطجع في ظلال الغيمة السـاريه
أو نتأرجح على ضفـائر الداليه
أو نستحم بماء البركة السـاجيه
أو ننظم الشعر أوزانا ... بلا قافيه

* * *

استيقظي استيقظي يا زهرتي الغافيه
وابتسمي للحياة إنها فانيه ...
وإنما الخالدو ن نحن ثانيه
أنت بفصل الربيع زهرة ناميه ...
وكلما استغرقت أيقظها ثانيه ...

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

رفاعة فرنسية جديدة

كان الفرنسيون قد قالوا : إن الأنباء التى نشرتها الصحف المصرية عن حوادث مراكش الأخيرة غير صحيحة ، وإن حملة الصحافة المصرية على فرنسا معتسفة ومتعسفة، وراحوا يلقون علينا دروسا فى أصول المهنة التى تتطلب تحرى الحقائق واستقاءها من مصادرها ، واقترحوا على نقابة الصحفيين المصريين أن تبعث وفدا منها إلى مراكش للوقوف على حقيقة الحال هناك . وكان هذا الاقتراح مدهشا … فليس مثل هذا التسامح معهودا من فرنسا فى المغرب ، إذ جرى عمالها هناك على منع أشعة الشرق من النفوذ إليه ، حتى لا تقتل جراثيم الاستعمار ..

ومع ذلك فقد قابلت النقابة الاقتراح بالترحيب ، إما بسلامة نية ، وإما متابعة للكاذب إلى داره … وسافرت البعثة الصحفية المصرية إلى المغرب ، وبلغت طنجة ، فلما أرادت دخول مراكش تلبية لدعوة الفرنسيين منعها الفرنسيون ! ألغى وزير فرنسا فى طنجة إجازة (تأشيرة) وزير فرنسا فى مصر … وهذا يذكرنا بالنادرة التى تروى عن عمدة بخيل يستقبل زواره بالترحيب ثم ينادى الخادم قائلا فى صوت جهورى : « قهوة يا ولد » وهو يرفع يده مشيرا بأصبعه إشارة أفقية يفهم منها الخادم أن لا قهوة … فالوزير الفرنسى فى مصر يوافق على دخول الصحفيين المصريين مراكش وكأنه يشير إلى زميله فى طنجة أن لا دخول …

وليس منع الفرنسيين هذه البعثة وأمثالها غريبا ، بل الغريب أن يسمحوا لها بدخول تلك البلاد المنكوبة بهم ، ولا بد أن تسأل بعد ذلك : أين « الرقاعة » فى ذلك التصرف مادام طبيعيا لا غرابة فيه ؟ الرقاعة — أولا وكما قلت من قبل — فن يجيده الفرنسيون ، والإبداع الفنى أو « الإشراق الرقاعى » فى هذا الموضوع ، هو أن الفرنسيين هم الذين طلبوا سفر البعثة وهم الذين منعوها ! وغيرهم يستطيع أن يطلب فقط أو يمنع فقط ، أما عبقرية الرقاعة التى تجمع بين الأمرين فهى مقصورة على الفرنسيين .

(كوكتيل) باكستانى

قدم إلى مصر فى الأسبوع الماضى وفد صحفى من الباكستان ، تلك الدولة الحبيبة التى يجمعنا بها الإسلام . وقد لقى الضيوف الكرام ما يليق بهم من الحفاوة والتكريم ، فأضافتهم الحكومة المصرية ، ورحبت بهم الشخصيات والجماعات المختلفة ، واهتمت الصحف بأنباء تنقلاتهم وما يقام لهم من حفلات ، وقد تتبعت ما نشر عنهم باهتمام وسرور ، ولكن شيئا واحدا نغص على هذا الشعور ، إذ قرأت بأهرام الخميس (٥/٤/١٩٥١) فى سياق ما أعد لهم من برنامج فى ذلك اليوم ، ما يلى : « وفى المساء يقيم لهم السيد معظم على مندوب وكالة أسوشييتدبرس الباكستانية ، حفلة كوكتيل فى داره »

وقفت عند حفلة الكوكتيل هذه مندهشا ! فهؤلاء الإخوان من الباكستان التى نتصورها أمة مسلمة محافظة على شعائر الإسلام ؛ ونغتبط بهذا التصور الذى تكونه فى أذهاننا قرائن ومظاهر مختلفة ، منها ما تعلنه حكومة الباكستان من أن دستورها يقوم على تعاليم الإسلام ، وما يبديه ممثلوها فى الهيئات العالية من الدفاع عن الإسلام ومناصرة المسلمين ، وما يتراءى إلينا من تمسك الشعب الباكستانى بآداب الدين ، ولعل قراء الرسالة يذكرون ما كتبته منذ أسابيع بعنوان « هل نحن مثقفون بالثقافة الإسلامية » على لسان باكستانى كبير تحدث إلى مقارنا بين الروح الإسلامية فى مصر وفى الباكستان

لذلك دهشت إذ رأيت إخواننا من مسلمى الباكستان يتداعون إلى شرب الخمر فى برنامج ينشر على الناس … فتوقعت

وأنا فى نأيه سأرويه أنشودة
فلنفس آلامنا الكبيرة الداميه
وأمسيات الشتا وريحه العاتيه
ولننس دنيا الورى الضاحكة الزاريه
وحسبنا ذلك الخلود يا غاليه

محمد مفتاح الفيتورى

بدافع ميل النفس إلى خير الاحتمالات — أن يكون فى ذلك الذى نشر خطأ أو لبس ، وأن لا بد من استدراكه فى اليوم التالى ، ولكن زادت دهشتى عندما قرأت فى العدد التالى من الأهرام (١٩٥١/٤/٦) ما يلى : « وفى المساء أقام لهم السيد معظم على المراسل الخاص لوكالة الأسوشيتدبرس الباكستانية بالقاهرة حفلة كوكتيل »

إذن فقد تحقق الأمر ووقع المحظور . وأنا حائر فى هذا الموضوع ... هل هو يستحق التدقيق للاعتبارات التى سلفت ، وأن ذلك يستوجب توجيه العتاب إلى أولئك الإخوان ، أو إلى سفارة الباكستان بالقاهرة التى ينبغى أن يتدخل نفوذها الأدبى فى مثل ذلك ؟ أو أنه يجب أن نكون « عصريين » فلا ندقق وندع الإخوان يصيبون شيئا من الحظ والمراح .. وخصوصا أننا فى مصر « المسلمة أيضا » نفعل مثل ذلك وإن كنا نتحرج من إعلانه ونشره .. عملا بقول النبى صلى الله عليه وسلم « إذا بليتم فاستتروا » ولكنى لا أشك فى أن إخواننا الباكستانيين يعرفون هذا الحديث كما نعرفه . وقد يقال إن الأهرام هى التى نشرت ؛ ولكنها نشرت فى يومين ، وكان يمكن الاتصال بها وخاصة من جانب السفارة — لنشر عبارة « دبلوماسية » تغطى ما كشف ... وكان يمكن أيضا أن ترى الأهرام من تلقاء نفسها أن نشر ذلك غير لائق ، ويلاحظ أنها فقط التى نشرته !

حتى البرنامج الأوربي

تحدث إلى أستاذ إيطالى زار مصر أخيرا ، وقد جاء ذكر الإذاعة المصرية ، قال إنه استمع فى فترات مختلفة إلى البرنامج الإيطالى من القسم الأوربى فى الإذاعة المصرية ، فلاحظ أن المادة التى تذاع أكثرها اسطوانات وتسجيلات موسيقية يمكن الاستماع إليها من محطة إيطالية ، فليس فيما يذاع للجالية الإيطالية ويبلغ عددها فى مصر ٤٥ ألف نسمة — ما يكون صورة ثقافية لمصر الوطن الذى يقيمون فيه ، فهناك كثير من المسائل المتعلقة بمصر ، مثل السودان ، والمسألة العربية ، والحركة الوطنية ، والاتجاهات الإنشائية للحكومات المتعاقبة — كل هذه المسائل وأمثالها لا يعرف المثقف الإيطالى المقيم بمصر عنها شيئا ...

هذا ، ومصر تنفق آلاف الجنيهات للدعاية فى الخارج ، أليست الدعاية لمصر بين جماهير الأجانب المقيمين فيها أولى ؟ وخاصة إذا كانت لا تكلف كثيرا ولا تحتاج إلى جهد كبير ؟

الأجانب واللغة العربية

وقد استطرد ذلك الأستاذ فى الحديث قائلا : لماذا لا تذاع دروس لتعليم اللغة العربية فى البرنامج الأوربى بالإذاعة المصرية ، كى يستطيع المواطن الأجنبى فى خلال شهور التفاهم بها أو قراءة جريدة عربية ؟

والواقع المؤلم أن مصر مقصرة أشد التقصير فى تعليم لغتها للأجانب ، فليس هذا التقصير خاصا بالإذاعة ، فإن الأجنبى لا يجد فى بلادنا معهدا يتعلم فيه اللغة العربية على نفقة الحكومة ، على حين ترى الدول الأخرى تنشئ المعاهد التى تعلم الأجنبى لغتها لا فى داخلها فقط ، بل فى البلاد الأخرى ، ولا تدخر وسعا فى نشرها بمختلف الأقطار . وإن المصرى الذى يسافر إلى لندن أو باريس مثلا لا يلبث أن يجيد الحديث بالإنجليزية أو الفرنسية ، على حين ترى الأجنبى يستوطن مصر ويمضى فيها سنوات دون أن يلم بلغتها ، فإن فعل لم يتجاوز العامية الجارية على ألسنة الشعب ، فلا يعرف شيئا عن ثقافة البلاد وآدابها ، بل هو لا يقرأ من الصحف والمجلات إلا ما يصدر باللغات الأجنبية

مسرحية « المتحذلقات »

استأنفت فرقة المسرح المصرى الحديث موسمها الثانى لهذا العام على مسرح الأوبرا الملكية يوم السبت الماضى ، وقد بدأت بتمثيل مسرحيتى « المتحذلقات » و « مريض الوهم » وأقصر حديثى اليوم على المسرحية الأولى التى تعرضها الفرقة لأول مرة ، أما الثانية فقد كتبت عنها من نحو شهرين عندما مثلتها الفرقة على مسرح حديقة الأزبكية

تعرض المسرحية أربعة متحذلقين : اثنتين واثنين ، ويعدينى جو هذه الرواية فيحملنى على أن أصطنع شيئا من « الحذلقة النحوية » فأسأل : لماذا غلب جانب التأنيث على جانب التذكير فى العنوان « متحذلقات » على خلاف القاعدة العربية المعروفة التى تحتم تغليب المذكر على المؤنث فى الجمع فيكون جمع مذكر إذا كان فيه ولو رجلا واحدا مهما كان عدد النساء ... ؟ ثم أجيب عن هذا السؤال بأن هناك اعتبارا آخر سوغ تغليب التأنيث ،

وهو أن المتحذلقتين هما الأصل والحذاقة فيهما لازمة ، أما المتحذلقتان فقد اصطنعا الحذلقة لتدبير موقت يظهر من متابعة المسرحية

ولا تحسبن أنني قدمت هذا التحذلق النحوي عبثاً ... فهو يشبه موضوع المسرحية مع فارق واحد ، هو أن هذا النوع النحوي خشن غليظ ، أما الحذاقة التي شهدناها على المسرح ففيها تأنق وتظرف وتنمم وكل « تفعل » من هذه المعاني يرجع في أصله إلى التكلف ، طلباً للشهرة واسترعاء الأنظار ...

« كاتوس » و « مادلون » فتاتان نشأتا في الريف ثم قدمتا إلى باريس وقد امتلأ خيالها بما يسمعان عما يجري في مدينة الحب من مغامرات وما يسود مجتمعاتها من رشاقة الحركات وحسن اختيار العبارات ، فهما تعترضان على أبيهما « جورجيبوس » إذ يناديهما : كاتوس ، مادلون ... هذا وتطلبان أن يخاطبهما باسمين من أسماء التدليل الناعمة بدلا من هذين الاسمين القديمين وتوبخان الخادمة لأنها تطلب الإذن لزائر بعبارات عامية وإنما يجب أن تستأذن في عبارة أدبية عالية ، كأن تقول : هل من المستطاب ياسيدتي في هذا الوقت أن تستقبلي المركيز ... وعندما تريدان التزين تطلبان من الخادمة « مستشارة المحاسن ! » وتحار الخادمة . . ولكنها يجب أن تتعلم أن مستشارة المحاسن هي المرآة ...

ويتقدم لخطبة الفتاتين شابان طبيعيان : ليسا من أهل الحذاقة ، فتقابلانهما بفتور وإعراض واحتقار . ويضيق بهما أبوهما « جورجيبوس » ويسألها عن سبب إعراضهما عن الشابين ، وهنا تلقي المتحذلقتان درساً ممتعاً عن الحب والزواج ، إذ يجب أن يبدأ الشاب بالغزل الرقيق وإنشاد الشعر العالي ثم يذهب بفتاته إلى الأركان الهادئة بالحدائق ، ويتخلل ذلك تأوهات وتنهدات ... وأخيراً يصارحها برغبته في الزواج ، أما المصارحة بطلب اليد من أول الأمر — كما صنع الشابان — فلا تليق إلا بالصفقات التجارية التي لا تحسن بأهل الظرف والكياسة ...

ويغتاظ الشابان من مسلك الفتاتين تجاههما ، فيدبران أمراً ... ثم يظهر على المسرح « المركيز ماسكريل » و « الفيكونت جودليه » في زيارة الفتاتين المتحذلقتين ، يدخل « المركيز » أولا في غاية التأنق والتظرف و ... التحذلق ، ويعرض على الفتاتين بضاعته « العالية » من الحذاقة « الرفيعة » ويوهمهما أنه شاعر عظيم من أهل الوجاهة في البلد وينشدهما شعراً مصحوباً بالتأوهات ذات الدلولات التي يفسرها لهما طبقاً لأصول الحذاقة ، فتعجبان به غاية الإعجاب ؛ ثم يلحق به صديقه « الفيكونت » ويأخذ معه بنصيب من الحذاقة ومن إعجاب الفتاتين

وحين تبلغ الحذاقة تمامها ، تفاجأ الفتاتان بمنظر عجيب ، إذ يدخل الخاطبان اللذان أعرضتا عنهما فينهالان ضرباً على المركيز والفيكونت ... ويتبين أن هذين خادما الشابين الخاطبين مثلا دوريهما للعبث بالمتحذلقتين ، ليسخر الشابان الخاطبان بهما وينتقما منهما

المسرحية لموليير ، وهي كسائر مسرحياته تقدم نماذج غريبة من الناس وتصورهم في سخرية ، وتضحك من تصرفاتهم وما يلابسها من مفارقات . وقد أخرجها الأستاذ زكي طليمات ، وأهم ما يستلفت النظر في الإخراج هو إتجاه كل شيء على المسرح نحو هدف المسرحية واستخدامه في تصوير جوها ، من حركات الممثلين ونبرات إلقائهم وترتيب المناظر والإضاءة ... الخ ، غير أني ألاحظ أن شخصية الأستاذ زكي تنعكس على الممثلين فتفيد في أكثر الأمور إذ تضفي حيويته الفنية عليهم ، ولكن ظلالا خفيفة جداً من هذه الشخصية تجعل الممثلين يتماثلون في طابع واحد ، ويتجلى ذلك في أصواتهم عندما « يزومون »

أما الممثلون والممثلات فقد أجادوا جميعاً ، وكانت البطولة البارزة في هذه المسرحية لعبد الغني قمر (ماسكريل) فوفق في تمثيل الحذلقة توفيقاً يستدعي الإعجاب ، وقد جاراه في ذلك أحمد الجزيري (جودليه) ، ومثلت سناء جميل إحدى المتحذلقتين (مادلون) وسناء فتاة قديرة على التعبير البليغ ، وقد برعت في هذا الدور براعة تشبه ما أبدته في دورها الخالد بمسرحية مريض الوهم . ومثلت سميحة أيوب المتحذلقة الأخرى (كاتوس) فاستطاعت أن تجاري سناء في دورها ، وقد لاحظت تقدمها و (لحلحتها) في هذه المسرحية وأيضاً في مسرحية « مريض الوهم » أكثر من قبل

عباس خضر



زبدة الحلب من تاريخ حلب

ألفه كمال عمر بن احمد بن العديم

ونشرة الدكتور سامى الدهان

للأستاذ ابراهيم الابيارى

أكاد أعرف التاريخ العربى فى مظهرين عام وخاص ، فهو إلى العموم حين يعرض للحياة يقول فيها لا يحد نفسه بمكان أو زمان ولا يخص بيئة دون بيئة ، ولا يقف عند أناس دون أناس. بل هو سالك الأزمان كلها فى سلك واحد يبدأ من حيث بدأ الله خلقه ، ثم يجرى فى إثر من نسل أبو البشر يقص مالهم ويروى ماوعى عنهم حتى يدرك شهر زاد الصباح .

وما كان منه إلى الخصوص فهو ذلك الذى فرغ لسير الأفراد يجمعها ويلم نوادها ومتفرقاتها فتجتمع لك حياة الفرد من شبه إلى دبه ناطقة بمـا كان له وما كان عنه تغنى بها عن الرجوع إلى أماكن مختلفة من المظان . ومن هذا الخاص كتب فى التاريخ عقدت لسير البلاد لا الأفراد تقدم على ابن العديم فيها الخطيب البغدادى بكتابه تاريخ بغداد ، وابن عسـاكر بكتابه تاريخ دمشق . والتاريخ فى سير الأفراد أقرب إلى التوفيق منه فى سير البلاد . فأنت تقرأ للمؤرخين فى سيرة الفرد الحياة الخاصة والعامة ، وفى كلتيهما ما يعوزك لترى رأيك وتحـكم حكمك ، ولـكنك فى سير البلاد واقف فى أولها عند كلمة عن طبيعة البلد وما خصه الله به وما قيل فيه، ثم منتقل إلى الحديث عن الناس الذين تربطهم بهذا البلد صلات . وقد يبدو فى هذا شىء من الخصوص ولـكنه ليس الخصوص كله كما هى الحـال فى سير الأفراد ؛ فالفرد فى الأولى هو الذى يدور حوله الحديث ، والبلد فى الثانية لا يختص من الحديث بغير نزول فلان إليه ونزوحه عنه ، وتولى هذا للحكم وذاك للقضاء دون شىء يكشف لك فى وضوح واتصال عن حياة هذا البلد فى مظاهره مع الأيام وتداولها

هذا شىء فى الحق أعوز هؤلاء المؤرخين الذين عقدوا كتبا فى سير البلدان، لم يخصوا البلد فيها إلا بالمقدمة ثم هم بعد ذلك قائلون فى سير الأفراد الذين تربطهم بالبلد صلات ظانين أن هذا كل ما يعنى القارئ لسيرة البلد ، أما عن خطوات البلد فى الحياة وما أمسى عليه وما أصبح ، وحياته العلمية والسياسة والاجتماعية من تلك الأمور التى بدأ يلتفت اليها المؤرخون المحدثون . فذلك شىء لم يخطر لهم ببال .

من أجل ذلك عددت كتب المؤرخين فى سير البلدان ليست من الخاص إلا فى عنوانها ومقدمتهـا وتلك الصلة التى جوزت سرد تلك الجمل من التراجم

وابن العديم من الذين حاولوا أن يفردوا حلب بسيرة متأثرا فى ذلك بمن ألف فى سير البلدان قبله . فوضع كتابه البغية أو التاريخ الـكبير على نهج من سبق ، خص حلب بشىء قيل مثله فى دمشق وبغداد ، ثم أردف بجمع تراجم من لهم بحلب صلة

ويلتفت ابن العديم فيرى أنه لم يوف سيرة حلب بما فعل وأنه لابد للمؤرخ فى سير البلدان من نهج غير هذا ، يخص فيه البلد بحديث موصول الحلقات ، فيقبل على كتاب البغية يحور فيه ويشكل ويخرج على النـاس منه بهذا الـكتاب الذى أسماه زبدة الحلب من تاريخ حلب

وفى الحق لقد قارب ابن العديم أن يكون فى هذا الـكتاب كاتب سيرة حلب . فقد أرخ لهـا فى ظل الملوك والقضاة وعرض لما واجهت من فتوح واستقبلت من غزاة وما عانت من حروب ، كل ذلك خلال سرده لحياة الأفراد الذين حكموا وولوا . ولو أنه التفت قليلا إلى حلب نفسها لحدثنا عن مظاهر الحيـاة فيها فى إفاضة وتوسع لو فى غرضه وأكل نهجه . ولـكن الـكتاب يعرفه كل مفيد أنه مع البغية تاريخ حلب الذى عليه معتمدهم ومنه إفادتهم

هذه موجزة فى التاريخ والمؤرخين ، وأما عن النشر والناشرين فذلك شىء حبيب إلى نفسى الحـــديث منه ، فالصلة به قديمة ومشاركتى فيه متنوعة

وإذا ذكرنا النشر فإنما نعنى ذلك النهج القـويم الذى طلع به علينا الغربيون على مختلف أممهم فكانوا فيه بحق اساتذة تلك

المدرسة الذين بينوا السبيل وخطوا الخطة

ثم كانت للشرق فى أثرهم خطوات موفقة لكنها يعوزها الأناة والصبر ؛ ثم بسطة من المال وشئ من التشجيع . وعندى أن هذا العمل الخطير جدير أن يرعاه رجل خطير يدعم أركانه ، فما أحوج الناشر إلى من يمكنه من المخطوطات المبعثرة هنا وهناك فى جهات العالم المختلفة ، وإلى من يرزقه على جهد سنين متصلة ، وإلى من يجزيه جزاء فيه عوض وبه رضى

وتكاد دور النشر لا تتهيأ لهذا ؛ فالناس تجار راغبون فى الغنم والناشر غير راغب فى أن يجوع ويعرى، وفى التوفيق بين الرغبتين ما يسيء إلى تلك الصناعة ويعوقها عن المضى قدماً فى السبيل المستقيم

وبيننا جلة من العلماء مهروا فى النشر وحذقوه يعوزهم التمكين والتشجيع ليرزقوا الصبر والأناة ، وعندنا دار للكتب فى وسعها أن تمكن ، كما عندنا دار لإحياء التراث فى وسعها أن تشجع لو أوفى قانونها سعة توفر لها مالا تعوض به هؤلاء العلماء؛ ثم بعد هذا نحن فى حاجة إلى تنظيم تلك الأداة وتوجيهها، فى حاجة إلى أن نلتفت إلى ذلك الماضى بتراثه الذى لا يزال كثيره مخطوطاً لا ينتفع إلا بقله، فنرى فى نشره رأياً سليماً مرسوماً، فى حاجة إلى أن ننشئ مع العلماء ناشئة ، فالقدر يختطف منهم ولا تجد من يخلفهم ، فى حاجة إلى هذا وغيره إذا كنا نؤمن أنا مفيدون من هذا التراث وأنا لا بد متولون نشره ومشاركون فيه

ذكرت بالأمس القريب شيئا من هذا لكبير علينا فسبقنى إلى ما أردت أن أنتهى إليه وقال فى عاطفة الوطن الموقن : إن الآمال معقودة بأستاذ الجيل معالى الدكتور طه حسين باشا ، فعلى يديه سيمكن الله للنشر وإليه تتجه كل نهضة علمية داعية راجية

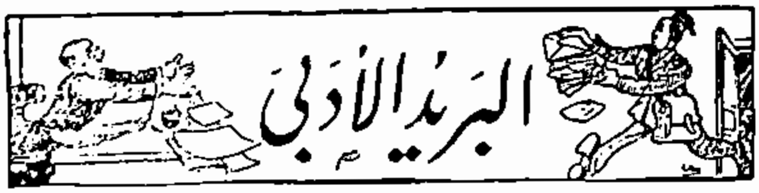
وأعود إلى هذا الجهد المشكور الذى بذله الدكتور سامى الدهان فى زبدة الحلب فإنى أعرفه صبوراً ذا أناة قد خص هذا العمل بالوقت الذى يتسع لمثله ، وأعرف له زوراته المختلفة المكتبات فى البحث عن النسخ المختلفة المتنوعة ، وأعرف له صلته القديمةُ بالنشر ؛ ولا زلنا نذكر له أبا فراس ، والوأواء ، والسياسة ، تلك الكتب الثلاثة التى عرفتنا به ناشراً محققا

وما اجتمعت الأشراط على مشروط إلا ضمن السلامة وأمن الزلل . وإنك حين تنظر فى كتابه الجديد « الزبدة » تعجبك الدفتان وما بينهما. فله فى الأول مقدمة الدارس المفيض الموفى ، لم يترك مدونة لم يجمعها ولا شاردة لم يقبض عليها ، فكان فيها مؤرخاً كتب لنا سيرة ابن العديم جامعة شاملة . وله فى الآخر أثبات تشير إلى الأعلام والبلدان والكتب ، وأخير قابل فيه بين السنين الميلادية والهجرية . وله ما بين الأول والآخر متن وفق التوفيق كله فى تحريره وتصويبه والتعليق عليه وإكمال نقصه من المظان التى هدته إليها الخبرة الطويلة

وما أحب أن أزيد فقد أعود إليه متحدثاً عن أثر له آخر هو طبقات الحنابلة

رزقه الله جهد الصابرين وكتب له التوفيق فى كل ما يأخذ فيه

ابراهيم الابيارى



طرابلس وليست ليبيا

في كلمة تحت هـذا العنوان أورد الأستاذ مختار محمد هويسة قول أبي الطيب :

أكارم حسد الأرض السماء بهم
وقصرت كل مصر عن طرابلس

فيما أورده من أدلة على وجوب تسمية ليبيا باسم طرابلس

والمراد بطرابلس هنا : طرابلس الشام لا طرابلس الغرب — كما ظن الكاتب. والبيت من قصيدة المتنبي يمدح بها عبيد الله خلكان وآباءه وقد كانوا من أهل المدينة الشامية ، وهي الآن تابعة للبنان وإليها ينتهي فرع من أنابيب زيت البترول العراق

محمد الفاتح الجندي
مدرس بأشمون الثانوية

مذهب جديد

قرأت في العدد « ٩٢٣ » من الرسالة الزاهرة مقالا للأستاذ كمال بسيوني يدعو فيه إلى « مذهب جديد » تعرض فيه إلى الشعر والشعراء فكان ساخراً متهكما في أسلوبه ، قاسياً عنيفاً في أحكامه ، زاعما أن الشعر والشعراء لم تعد بهما حاجة في عصر يزخر بالمعجزات العلمية والنظريات الفلسفية ، وما الشعر على حد قوله إلا حديث خرافة وخيال ، وما كلام الشعراء الا ضرب من « اللهو واللغو » ليس إلا — بل ما هو إلا إسفاف ما دام شعرهم لا يتعرض للحقائق العلمية ويصوغها في قواف وأوزان.

لقد أنكر الأستاذ بسيوني وجود الشعراء وأنكر عليهم تفكيرهم ونعتهم بالجهل والسذاجة وأنهم يكفرون بالحياة العلمية والعقلية وليس هم من سكان هذا الكوكب — بل هم يعيشون في عالم خيالي غير منظور وأنهم بعيدون عن الحياة الواقعية التي يحياها العلماء . إذن فالحياة كما يريدها الأستاذ بسيوني حياة علمية صرف لا تعترف بالفن والحب والجمال . فما قيمة الحياة يا أستاذ بسيوني إذا خلت من هذه الألوان ؟ إني « أشفق » عليك يا أستاذ بسيوني « وأشفق » على « مذهبك الجديد » « ودعوتك الجريئة » التي لم يسبقك بها أحد حتى من العلماء الذين دافعت عنهم

العراق — الهندية
قاسم غازي الخيالي

بين الشعر والنثر

قرأت في العدد ٩٢٣ من مجلة (الرسالة) الغراء المقال القيم الذي موضوعه (من حديث الشعر) للأستاذ كمال بسيوني ، والحقيقة أن الأستاذ البسيوني قد أصاب كبد الحقيقة حين قال (الا فليعلم الناس أني ما سمعت أن فلاناً شاعراً حتى فهمت أنه لم يزل في الطور الأول من أطوار الأدب وأنه أبعد ما يكون عن هذه الثقافة الواسعة العميقة الخ ...) والشواهد على ذلك كثيرة ؛ فالشاعر العراقي معروف الرصافي لم يكن يملك في حياته مكتبة تضم شتات الكتب، ولذلك جاءت مؤلفاته النثرية خاوية الوفاض من كل مادة دون أن تستند إلى دليل، ولذا كانت موضع سخط الطبقات المثقفة المستنيرة . وقد انتقدها كتاب مصر الأفاضل على صفحات الرسالة الزاهرة مبينين خطل رأيه وسوء تفكيره ، بخلاف شعره الذي لم ينتقد لعدم احتياجه إلى ثقافة واسعة . ومعالي الدكتور طه حسين باشا بدأ حياته شاعراً وبعد أن ارتشف مناهل الأدب الغزير ، وسبر غور العلم الكثير، انصرف عن الشعر إلى النثر الفني الذي جعل منه عالماً فاضلا وأديباً عبقرياً يحلق في سماء الخلود . والأستاذ عباس محمود العقاد قرض الشعر قبل أن يتمتع بهذه الشهرة الواسعة التي أسبغت عليه ثوب العالم بمؤلفاته التي أصدرها في السنين الأخيرة . إذاً فليزدهر العلم وليكثر الكتاب والعلماء وليحافظ الشعر أنفاسه غير مأسوف عليه

بغداد
عبد الخالق عبد الرحمن

أحبب حبيبك هونا ما . .

جاء فى باب الأدب والفن من عدد الرسالة الفائت تحت عنوان « الشعر فى مجلة المصور » أن سعادة عبد الرحمن حقى باشا وكيل وزارة الخارجية قال فى مجلة المصور .

وإذا سئلت الآن أن ألخص تجاربى فى عبارة قصيرة جامعة لا أجد خيرا من البيتين اللذين علقا بذاكرتى من أيام الصغر وهما :

أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما
وابغض بغيضك يوما ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما

وعلق الأديب المتمكن الأستاذ عباس خضر بما نفى الشعر عن هذا النثر – وأود أن أزيد على تعليق الأديب الفاضل بأن هذا الكلام الذى اعتبره الباشا شعرا إن هو إلا حديث شريف رواه الترمذى عن أبى هريرة كما جاء فى إحياء علوم الدين للامام الغزالى الجزء الثانى ، فى كتاب (آداب الألفة والأخوة والصحبة . .) وللأديب الفاضل تقديرى وتحياتى

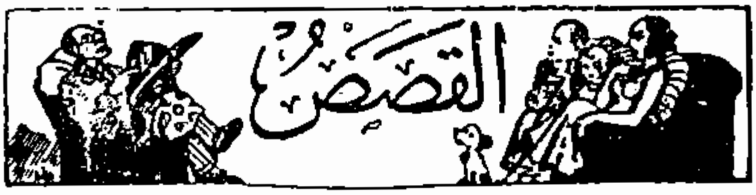
محمد عبد الله السمان

مدرس بمدرسة أمير الصعيد الابتدائية بالمنيرة

منوط به لا مناط به

فى مقال الكاتب القدير الأستاذ عباس خضر بالعدد (٩٢٦) من مجلة الرسالة الزهراء وردت عبارة : « وما قد صار الأمل كله مناطا بالحكيم » بمعنى معلق .. وكلمة مناط لم تصح فى اللغة العربية بالمعنى الذى يقصد إليه ولكنها هكذا « منوط به » لأنها اسم مفعول من الفعل الثلاثى (ناط) لا أناط ، وقد قرأت فى المصباح المنير مانصه : (ناطه نوطا من باب قال – علقه –) وفى القاموس المحيط . (وهذا منوط به – معلق) . . . وللأستاذ الكبير وافر الإعجاب ، وعظيم التقدير

محمد محمد الابشيهى



مكتب البريد

للقصصي الروسي شيكوف

بقلم الأستاذ حسين أحمد أمين

ذهبنا بالأمس نشيع جنازة زوجة وكيل مكتب البريد، سلادكوبر زوف؛ وبعد أن دفنا المتوفاة قصدنا جميعاً – كما هى عادة آبائنا وأجدادنا من قبل – إلى مكتب البريد، نتذاكر محاسن السيدة

وعندما وضعت الفطيرة أمامنا على المائدة صاح وكيل المكتب العجوز بمرارة: ألا ترون كيف يشبه هذا اللون الأحمر للفطيرة خدى زوجتى الحبيبة؟

وأمنت الجماعة على قوله: «أجل.. هذا حق.. لقد كانت جميلة فاتنة!» قال: «نعم لقد ذهل كل من رآها لجمالها.. ولكن، أيها السادة، لا تحسبوا أننى أحببتها لجمالها أو لرقة شمائلها؛ فهذه الصفات تلتصق دائماً بطبيعة المرأة؛ وكثيراً ما نجدها واضحة فى أكثر النساء.. إننى أحببتها لصفة أخرى فيها.. أحببتها – رحمها الله – لأنها على رغم حيويتها ومرحها وعبثها – ظلت مخلصة لى.. مخلصة لى وأنا فى الستين وكانت هى فى العشرين

وتنحنح الحانوتى – وهو جالس إلى الطعام معنا – حين سمع هذا القول.. فاستدار إليه وكيل المكتب العجوز وقال: «إخالك لا تصدق ما أقول..» فأجاب الحانوتى فى اضطراب وتلعثم: معاذ الله ياسيدى أن أكذب قولك.. غير أن النساء الصغيرات كما تعلمون – قد أصبحن ولا هم لهن إلا اجتذاب العاشقين إليهن»

قال الأرمل: إنك لا تصدق.. ولكنى سأثبت لك صحة قولى.. لقد ضمنت وفاءها لى بطرق استراتيجية مختلفة.. فبسلوكى وحيلى أصبحت زوجتى غير قادرة على خيانتى.. والحيلة هى الوسيلة التى اتبعتها لكى أصون فراش الزوجية من الدنس فى جعبتى بضع كلمات إذا تفوهت بها كان لى أن أنام هانئاً مطمئناً إلى أن زوجتى لا تخوننى..»

«وما هى هذه الكلمات؟»

فى منتهى البساطة.. لقد نشرت بنفسى إشاعة خبيثة فى البلد – وأنا موقن أنكم تعلمونها – فكنت كلما قابلت مخلوقاً قلت له: «إن زوجتى أليونا عشيقة إيفان ألكسيفيتش رئيس البوليس.»! وكانت هذه الكلمات كافية لأن تبعد الرجال أجمعين عن مغازلة أليونا خوفاً من غضب رئيس البوليس.. وكلما كان يلمحها رجل فى الطريق كان يجرى خوفاً على حياته كى لا يشك فيه الكسيفيتش.. ها.. ها.. ها.. وأنتم تعرفون ما يحدث لمن يشك فيه الكسيفيتش. إنه إذا ما رأى قطة لكم فى الطريق كتب عنها تقريراً للسلطات وكأنما هى قطيع ضال من الغنم..»

قلنا جميعاً فى صوت منخفض وقد ملكنا العجب.

«إذن فزوجتك لم تكن عشيقة إيفان ألكسيفيتش؟.»

«كلا.. لقد كان هذا من وحى خيالى.. ها.. ها.. ها.. لقد سخرت منكم أيها الشبان.»

ومضت ثلاث دقائق ونحن فى صمت، وشعرنا جميعاً بالخدعة المهينة التى وقعنا فيها بمهارة ذلك الرجل العجوز الأحمر الأنف.

وتمتم الحانوتى قائلاً: أرجو من الله أن يتزوج هذا الرجل مرة أخرى..»

حسين أحمد أمين